تابع قسم البلاغة والنقد

١- الدكتور / تامر محمد أحمد حجازي
الدلالة البلاغية للمد الكلمي
المُثقَل في القرآنِ الكريم
مقامُ الحجاج

٢- دكتور / وليد إبراهيم حمودة
مواقف الدكتور عبد الواحد علام
من التراث البلاغي
عرض ونقد

٣- الدكتور / لطفي خالد محمود الجوهري
القَيْدُ غَيْرُ الْمُقَيد في القرآن الكريم
وأسراره البلاغية

جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية
بإيتاي البارود

الدلالة البلاغية للمد الكلمي المُثَقَّل في القرآنِ الكريم
مقامُ الحجاج

إعداد الدكتور

تامر محمد أحمد حجازي

قسم البلاغة والنقد
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود

مُقَدِّمَةٌ

الحمدُ لله رب العالمين والصلاةُ والسلامُ على أشرف الخلق وإمام المرسلين سيدنا محمد (ﷺ) وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

فهذه دراسة متواضعةٌ حول كتاب الله (ﷻ) أبغي من ورائها أن أضع لبنة في صرح إعجاز القرآن الكريم المشيد في ميدان البلاغة والبيان.

وقد لفت نظري وأنا أقرأ كتاب الله (ﷻ) ذلك التطاول الحركيُّ لحركاتِ المد الكلمي المثقل في كتابِ ربّنا، وأحسَسْتُ أنَّ هذه الظاهرة القرآنية التجويدية الخاصة بكتاب الله تعالى – أحسَسْتُ أنَّ وراءَها ارتباطاً وثيقاً بالمقام الذي وردت فيه، والمعنى الذي جاءت من أجله، ولاشك أن هناك أسراراً بلاغية تتعانقُ مع الدلالة الصوتية للمد الكلمي المثقل بإيقاعه الحركي المتطاول.

ومن هنا وقع اختياري – بعد توفيق الله (ﷻ) على هذا الموضوع: «الدلالة البلاغية للمد الكلمي المثقل في القرآن الكريم – مقام الحجاج».

وحين قمتُ بحصر مواضع المد الكلمي المثقل في القرآن الكريم – ولا أظن أنَّ أحداً قبلي حصرها – وجدتها قد بلغت مائة موضع وواحداً، ولاحظتُ أنها تنقسم إلى عائلاتٍ أو فصائل ومن ثم قسمتها إلى أحد عشر مقاماً.

وقد تناولتُ من خلال هذا البحث المقام الأول وهو «مقامُ الحجاج» وقد اشتمل على ثلاثة عشر شاهداً قرآنياً، تناولت فيها الدلالة البلاغية للمد الكلمي

المثقل في هذه الآيات مبرزاً تعانق المد الكلمي المثقل مع خصائص النظم كلها من خلال السياق.

وقد جاء هذا البحثُ في مقدمةٍ وتمهيدٍ ودراسةٍ جوهريةٍ للموضوع ثم خاتمة.

تناولتُ في المقدمة إطلالة كاشفة للموضوع مع بيان منهج البحث وخطته.

وحتى يتعرَّف القارئُ الكريمُ على المد الكلمي المثقل كان لابد من إطلالة عامة موجزة على المدِ عموماً عند علماء التجويد، حتى يتبين موضعُ المد الكلمي المثقل وعلاقته بها.

ولذلك اشتمل التمهيدُ على ثلاثةِ أشياء:

* **أولاً:** كلمة موجزة عن المد عموماً والمد الكلمي المثقل خاصة

ولما كان المد الكلمي المثقل في حقيقة أمره جانباً صوتياً بتطاوله الحركي إلى ست حركات وجوباً، لزم أن نُبين ما يترتبُ على هذا الجانب الصوتي من أثر بلاغي ومن ثم اقتضى الأمرُ أن نوضح دلالته البلاغية من خلال دلالته الصوتية.

فجاء الشق الثاني من التمهيد بعنوان:

* **ثانياً:** الدلالة البلاغية للمد الكلمي المثقل من خلال دلالته الصوتية.

وقد رأيتُ من الفائدةِ أن أضعَ الآيات القرآنية التي اشتملت على المد الكلمي المثقل في القرآن الكريم في مقاماتها المختلفة في جزء من هذا التمهيد،

حتى يمكن لأي باحث أن يتناول شيئاً منها بالتحليل البلاغي، ويمكن أن ينهض باحثٌ جادٌ في رسالة العالمية «الدكتوراه» بدراسة المقامات كلها باستثناء مقام الحجاج الذي هو موضوع هذا البحث، ليكتمل بذلك هذا المشروع البحثي في جانبٍ من جوانب إعجاز القرآن الكريم البلاغي.

وإتماماً للفائدة وتيسيراً على الباحثين في بلاغة كتاب الله تعالى، صَنَّفتُ هذه الآيات إلى مقامات فجاءت في أحدَ عشر مقاماً تناولتُ منها المقام الأول بالدراسة البلاغية.

ولذلك جاء الشق الثالث من التمهيد بعنوان:

* **ثالثاً:** الآيات القرآنية التي اشتملت على المد الكلمي المثقل في مقاماته البلاغية المتعددة.

ثم أدلفتُ مباشرة إلى دراسة المواضع التي اشتملت على المد الكلمي المثقل في مقام الحجاج وهي ثلاثة عشر موضعاً لبيان دلالتها البلاغية متعانقة مع دلالتها الصوتية وخصائص وسمات النظم في السياق له سابقاً ولاحقاً.

ثم أنهيتُ البحث بخاتمة اشتملت على الخلاصة التي انتهى إليها البحثُ مع موازنة بلاغية بين المقامات الفرعية داخل مقام الحجاج.

وتبدو قيمةُ هذا البحث من خلال موضوعه أولاً حيثُ يتعلقُ بأشرفِ كتاب وهو القرآن الكريم ثم من خلال فتحه باب التأثير والتأثر بين ثلاث فئات من العلماء:

* **أولاً:** علماء التجويد القرآني.

* **ثانياً:** علماء الصوتيات.

* **ثالثاً:** علماء البلاغة.

وهو بادرةٌ – أحسبُ أن تكون جيدةَ – لتلاقحُ أفكار البلاغيين مع علماء التجويد والصوتيات لنفتح بذلك ميداناً رحباً بين محاولات العلم المختلفة تأثيراً وتأثراً وارتباطاً، لتخرج بذلك الثمرة يانعة متكاملة العناصر تامة البنيان.

واللهَ أسألُ أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يرزقنا النفع والثواب وأن يعيننا على إكمال مسيرة البحث في إعجاز القرآن البلاغي وأن ينفع به كُلَّ من قرأه، وأن يجعله في ميزان حسناتنا وحسنات والدينا ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد (ﷺ)
والحمدُ لله رب العالمين

الدكتور

تامر محمد أحمد حجازي

٨ من ذي الحجة ١٤٣٤ هـ
١٣ من أكتوبر ٢٠١٣ م

ويشتمل على ما يلي:

*** أولاً: كلمة موجزة عن المد عموماً والمد الكلمي المثقل خاصة.**

*** ثانياً: الدلالة البلاغية للمد الكلمي المثقل من خلال دلالته الصوتية.**

*** ثالثاً: الآيات القرآنية التي اشتملت على المد الكلمي المثقل في مقاماته البلاغية المتعددة.**

أولاً: كلمة موجزة عن المد عموماً والمد الكلمي المثقل خاصة

ورد في لسان العرب مادة «مدد»:

«المدُّ: الجذبُ والمطلُ... والمادَّةُ: الزيادةُ المتصلة»[١]

فالمدُّ في اللغة: الزيادة، ومنهُ قوله تعالى: ﴿ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ ﴾[٢] أي يزدكم، واصطلاحاً: إطالةُ زمن صوت حرف المد إلى أكثر من حركتين عند ملاقاة همزٍ أو سكون.[٣]

ومن خلال التعريف اللُغوي والاصطلاحي للمد يتبينُ لنا أنهُ شيءٌ زائدٌ على أصل النطق بالحرف، ولاشكَّ أنَّ لهذه الزيادة علاقةً ببلاغة المعنى، لاسيما إذا جاءت في أعلى درجاتها وهو المدُّ الكلمي المثقل فهو يؤدي إلى فخامة المعنى والمبالغة فيه.

ولذلك فرق العلماءُ بين المد والقصر بأن المد زيادةٌ طارئةٌ على حرف المد أما القصر فهو نطق الحرف بطبيعته دون تلك الزيادة.

يقول الإمام السيوطيُّ في الإتقان:

«**المدُّ:** عبارة عن زيادة مطٍ في حرف المد على المد الطبيعي وهو الذي لا تقومُ ذاتُ حرف المد دونه، والقصرُ: تركُ تلك الزيادة وإبقاءُ المد الطبيعي

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور/: مَدَدَ – دار الحديث – القاهرة – طبعة محققة ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م.

(٢) سورة نوح (عليه السلام): من الآية: ١٢.

(٣) انظر: فتح المجيد شرك كتاب العميد في علم التجويد تأليف الشيخ: محمود علي بسة شرح وتعليق وضبط وتحقيق: محمد الصادق قمحاوي: ٧٥ مكتبة الإيمان ط أولى: ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م.

على حاله».[١]

والمدُّ الكلمي المثقل «موضوع الدراسة» أحدُ أقسام المد اللازم والمد اللازم قسمٌ من أقسامِ المد الفرعي الذي هو نظيرُ الأصلي أو الطبيعي، حيث قسم العلماءُ المد إلى قسمين:

«أصليّ» وهو الطبيعي وهو الذي أشار إليه الإمام السيوطيُّ بقوله: «وهو الذي لا تقومُ ذاتُ حرف المد دونه».[٢]

وليس بعده همزة ولا سكون ومقداره حركتان كالألف في «قَالَ» والياء في «ٱلْعَٰلَمِينَ» والواو في «وَيَقُولُ».[٣]

والفرعيُّ هو ما تقوم ذاتُ الحرف بدونه ويقعُ بعد همزةٍ أو سكون ويسمى فرعياً لتفرعه من الأصلي نظراً إلى تفاوت مقادير المد في أنواعه المختلفة، وهو إما متصلٌ نحو «جَآءَ» ومقداره أربع أو خمس حركات، أو منفصل نحو «إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ» وحكمه جواز مده أربع أو خمس حركات وجواز قصره حركتين، وإما عارضٌ للسكون نحو: «ٱلرَّحِيمِ» وحكمه كذلك الجواز ويمد بمقدار حركتين وأربع وست حركات، وإما مدٌّ بدلٍ مثل «ءَامَنُواْ» وحكمه كذلك الجواز، أي جواز قصره وتوسطه وإشباعه وذلك لورش فقط أما حفص فله القصر قولاً واحداً

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن لشيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: ١٢٧/١ دار علوم المعرفة.

(٢) انظر: السابق والصفحة.

(٣) انظر: شرح المريد في علم التجويد للأستاذ: محمد عبد الوهاب محمد: ٥٧.

بمقدار حركتين.[1]

ويلاحظ مما سبق أن أقسام المد الفرعي الأربعة السابقة حكم المد فيها الجواز حيث يتراوح عدد الحركات فيها ما بين اثنين أو أربع أو خمس أو ست جوازاً في أغلبها، بخلاف القسم الخامس من أقسام المد الفرعي وهو المدُّ اللازم حيث يجب فيه المدُّ ست حركاتٍ كما سيأتي.

والذي يعنينا هنا من هذه الأقسام هو المدُّ اللازم وقد عرفه العلماء بقولهم: هو أن يقع السكونُ الأصليُّ بعد حرف المد أو اللين في كلمة أو في حرف؛ وسُمِّي لازماً؛ للزوم مدِّه حالة واحدة، وهي قدرُ ست حركاتٍ ولزوم سببه له وصلاً ووقفاً.

وينقسم إجمالاً إلى قسمين: كلمي وحرفي؛ فالكلمي هو أن يقع السكون الأصليُّ بعد حرف المد في كلمة نحو: «**ٱلصَّآخَّةُ**».

والحرفيُّ: هو أن يقع السكون الأصليُّ بعد حرف المد في حرفٍ نحو «**قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ**» [ق: ١]

وينقسم كُلٌّ منهما إلى قسمين: مُخَفَّفٌ أو مُثَقَّل:

* **فالكلمي المُخَفَّف:** هو أن يقع السكون الأصليُّ بعد حرف المد في كلمة بشرط كونه غير مُشّددٍ نحو «**ءَآلۡـَٰٔنَ**» مَوْضِعَيْ يونس ولا يوجد غيرهما في القرآن.[2]

---

(١) انظر: السابق: ٦٢، وفتح المجيد شرح كتاب العميد في علم التجويد: ص: ٧٧، ٨٠، ٨١.

(٢) الوضعان في سورة يونس: الأول قوله تعالى: «ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ» من الآية: ٥١ والثاني في قوله تعالى: «ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ» الآية: ٩١.

وسُمِّي كلميًّا؛ لوقوع السكون الأصلي بعد حرف المد في كلمةٍ، وسُمِّي مُخفَّفاً؛ لخفة النطق به نظراً إلى خلوِّ سكونه الأصلي من التشديد الدال على أنه مكونٌ من حرفين في الأصل أدغم أولهما في الآخر.

* **والكلمي المثقل:** هو أن يقع السكونُ الأصليُّ بعد حرف المد في كلمةٍ بشرط كون السكون مُمَدداً نحو: «**ٱلطَّآمَّةُ**».

وسُمِّي كلميًّا لوقوع السكون الأصلي بعد حرف المد في كلمةٍ، وسُمِّي مُثقَّلاً؛ لثقل النطق به نظراً إلى كون سكونه مُشدَّداً، مما يدُلُّ على أنهُ مُكوَّنٌ من حرفين في الأصل، أدغم أولهما في الآخر.

* **والحرفي المخفف:** هو أن يقع السكون الأصليُّ بعد حرف المد في حرفٍ تقتضي الأحكامُ إظهاره بالنسبة إلى ما بعده عند وصله به نحو: «**صٓ**» و «**نٓ**».

وسُميِّ حرفياً؛ لوقوع السكون الأصلي بعد حرف المد في حرف لا في كلمة، وسُمِّي مُخفَّفاً، لخفة النطق به نظراً إلى إظهاره عند وصله بما بعده، وخلوه من التشديد والغنة بعد المد الطويل اللذين يقتضيهما الإدغام له فيما بعده لو كان مُدغماً.

* **الحرفي المثقل:** هو أن يقع السكونُ الأصليُّ بعد حرف المد في حرفٍ تقتضي الأحكامُ إدغامه فيما بعده من الحروف عند وصله به نحو اللام في قوله تعالى: «الٓمٓ»، أو السين في «**طسٓمٓ**» أول سورتي الشعراء والقصص.(١)

(١) انظر: فتح المجيد شرح كتاب العميد في علم التجويد: ١٠٩، ١١٠، وانظر كذلك: شرح المريد في علم التجويد: ٧٠ – ٧٣.

والذي يعنينا من بين هذه الأقسام إنما هو المدُّ الكلمي المثقل، وإنما ذكرتُها جميعاً موجزةً حتى يتبين للقارئ الكريم موقعُ المد الكلمي المثقل – موضوع البحث – بين هذه الأقسام، وعلاقته بها، فهو أحدُ أقسام المد اللازم ومن ثم وجب مدُّه ستَّ حركات وهي أقصى درجات المدِّ، وهو مدٌّ لازمٌ له لا ينفكُّ عنه بحالٍ وصلاً أو وقفاً وهذا هو مثارُ الجذب والانتباه في هذه الدراسة، حيث لفت نظري بتطاوله اللازم وجوباً في مقامات متفاوتة يغلب عليها طابع الشدة والمبالغة، وأحسستُ أنَّ ثمة علاقةً صوتيةً بين المد الكلمي المثقل والمقام الذي ورد فيه.

وهو ما سأوضحه في المبحث التالي.

ثانياً: الدلالة البلاغية للمد الكلمي المثقل من خلال دلالته الصوتية

مما لاشك فيه أنَّ المد الكلمي المُثقل ظاهرةٌ صوتيةٌ زائدةٌ على ذات الحرف، وهذه الزيادةُ التي عبر عنها العلماءُ بـ «مط الصوت» لم تأتِ عبثاً أو رغبةً في تحسين الإيقاع وتأليف النغم وإنما جاءت فوق ذلك لمغزى بلاغي، فكل دلالة صوتية لاشك أنَّ وراءها دلالة بلاغية، ومن ثم كان جديراً بعلماء البلاغة أن يدرسوا الرابطة الوثيقة بين الظواهر الصوتية المختلفة كالمد والإدغام وصفات ومخارج الحروف وغيرها وبين المعنى، حيث تسهم تلك العلاقة في إثراء الجانب البلاغي ومدى مطابقة وتوافق تلك الظواهر الصوتية في كافة أشكال اللغة شعراً ونثراً وقرآناً وسنة – مدى توافقها مع المقام.

وهذه الدراسةُ المتواضعةُ إحدى هذه المحاولات التي ينبغي أن نُعْني بها حيثُ «لا يمكن فهمُ قضيةٍ بلاغيةٍ دون معرفةٍ بأداء اللغة وصوتياتها، فلا يكون المتكلم مراعياً لمقتضى الحال إلا إذا أعطى لكل مقام نطقَهُ وأداءَهُ المطلوب، إذ الأداءُ يتفرعُ بتنوع الموقف والمقام والسياق، ومن شروط البلاغة أن يأتِي الأداءُ مطابقاً لما يقتضيه الحال».[1]

ومن هنا لا يمكن إغفالُ العلاقة الوثيقة بين الجانب الصوتي والأثر البلاغي ولاسيما في موضوعنا هذا حيث يشتد إيقاعُ المد الكلمي المثقل داخل السياق لتتوافق بذلك الكلمة موطن الشاهد مع المعنى الذي جاءت من أجله والمقام الذي وردت فيه، ومن ثم وجدنا القرآن الكريم يخْتارُ «لكل حالةٍ مرادةٍ ألفاظها الخاصة التي لا يمكن أن تستبدل بها غيرها، فجاء كُلُّ لفظ متناسباً مع صورته الذهنية من وجه ومع دلالته السمعية من وجهٍ آخر عذوبةً ورقةً وزجراً

(١) انظر: التجويد القرآني في ضوءِ علم الصوتيات الحديث – بقلم الأستاذ الدكتور/ أبو السعود أحمد الفخراني: ٤١ ط أولى ١٤١٩ هـ- ١٩٩٩م.

وشدةً وهنا ينبه القرآن المشاعر الداخلية عند الإنسان في إثارة الانفعال المترتب على مناخ الألفاظ المختارة في مواقعها فيما تشيعه من تأثيرٍ نفسيٍّ معين سلباً وإيجاباً».(١)

إنَّ الإغراق في مد الصوت واستطالته كما هو واقعٌ في المد الكلمي المثقل في القرآن الكريم. له دلالةٌ بلاغيةٌ عميقة تتوافق مع المقام الذي وردت فيه الكلمة، وتجعلُ الكلمة متمكنة ومقبولة في مقامها لا يسُدُّ غيرُها مسدَّها بما تشيعه من مبالغةٍ وتأثيرٍ.

إنَّ البحث في الجوانب الصوتية وعلاقتها بالبلاغة القرآنية ليستدعي دقةً وتأمُّلاً – لاسيما في موضوع المد – فوظيفة الباحث حينئذٍ أن يستغرق في بيان المواءمة الدقيقة بين الصخب الصوتي للكلمة في المد وبين معناها ومقامها الذي وردت فيه، «فهنالك مقاطعُ صوتيةٌ مغرقةٌ في الطول والمد والتشديد وبالرغم من نُدرة صيغ هذه المركبات الصوتية في اللغة العربية حتى إنها لتُعَدُّ بالأصابع، فإننا نجدُ القرآن الكريم يستعملُ أفخمها لفظاً وأعظمها وقعاً، فتستوحي من دلالتها الصوتية مدى شدتها، لتستنتج من ذلك أهميتها وأحقيتها بالتلبُّث والرصد والتفكير، من تلك الألفاظ: «**ٱلْحَآقَّةُ**»، «**ٱلطَّآمَّةُ**»، «**ٱلصَّآخَّةُ**» وقد تأتي مجردة عن التعريف فتهدي إلى عموميتها مثل «**دَآبَّةٍ، كَآفَّةً**»، هذه الصيغةُ صوتياً تمتازُ بتوجه الفكر نحوها في تساؤل، واصطكاك السمع بصداها المدوي، وأخيراً بتفاعل الوجدان معها مترقباً الأحداث المفاجئات والنتائج

(١) انظر: الصوت اللغوي في القرآن د/ محمد حسين علي الصغير: ١٦٣ دار المؤرخ العربي – بيروت.

المجهولة».[1]

وإذا انتقلنا إلى الجانب التطبيقي فإننا نجدُ المد الكلمي المثقل يختار المقامات الجهيرة الشديدة التي تتناسبُ مع شدةِ صوته أو بالأحرى التي يتوافق هو صوتياً مع تصاعد معناها وشدة دلالاتها.

فهو مثلاً يأتي في مقام الحجاج أو المحاجَّة وهو مقامٌ عظيمٌ يحتاجُ إلى حشدٍ هائل من الأصوات المجلجلة حتى يمكن إفحامُ الخصم وإبطال حجته من ذلك قوله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم(عليه السلام) في مخاطبة قومه: ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۖ﴾ [الأنعام: ٨٠].

ويأتي كذلك في مقام الشقاق والمحادة كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ﴾ [الأنفال: ١٣، الحشر: ٤] وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة: ٢٠] وهو مقامٌ يستدعي تطاولاً في مد الصوت بما يتناسبُ مع إمعانِ المشركين في محاربة الله ورسوله.

ويأتي كذلك في مقام الضلال مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] ليبرز انغماسهم في الضلال والحيرة.

ويأتي كذلك في مقام الاستفهام التهكمي أو الإنكاري كما في قوله تعالى: ﴿قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾ [الأنفال: ١٤٣، ١٤٤] وكما في قوله (عز وجل): ﴿قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤] ليبين مدى سخافة وضعف عقول هؤلاء.

---

(١) الصوت اللغوي في القرآن: ١٦٨.

ويأتي كذلك في مقام الدلالة على العموم كما في لفظ «دَآبَّةٍ وكَآفَّةً» منكرتين ليبين الاستقصاء التام لكل المخلوقات والاستغراق لكل العالمين.

ويأتي في مقام المضارَّة كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢] وكما في قوله (ﷻ): ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ﴾ [الطلاق: ٦] لينفي أدنى درجةٍ متوقعةٍ من أقل أنواع الضرر.

ويجيءُ كذلك في مقاماتٍ أخرى متنوعةٍ من مثل قوله تعالى: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٢] وقوله سبحانه: ﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ [المؤمنون: ١١٣] وقوله (ﷻ): ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦١] ولا شك أن كل مد من تلك المدود جاء متوافقاً مع مقامه منسجماً مع سياقه الذي ورد فيه.

وقد قمت بحصر الآيات القرآنية التي اشتملت على شواهد المد الكلمي المثقل في كتابِ الله (ﷻ) ولا أحسبُ أن أحداً غيري سبقني بمثل هذا العمل – فوجدتها قد بلغت مائة موضعٍ وواحداً، وذلك حسب اجتهادي في حصرها، وربما يأتي من يزيدُ عليها.

وقسمتُ هذه الشواهد القرآنية للمد الكلمي المثقل إلى مقامات كما سبق، وموضوعُ هذا البحث هو دراسةُ مقامٍ واحدٍ منها وهو «مقام الحجاج» لكني آثرتُ أن أذكر المقامات الأخرى والآيات التي وردت في كل مقامٍ على سبيل الإجمال – لتعُمَّ الفائدةُ ويكتمل هيكل المشروع البحثي الذي أبغيه من دراستي هذه، وحتى أضعَ لنفسي أو للباحثين في علم البلاغة القرآنية المنهج الواضح والخطى الوئيدة للسير المتأني في إكمال هذا المشروع البحثي بدقةٍ وعنايةٍ وإخلاص يتوافق مع عظمةِ وجلالِ كتاب الله (ﷻ) ومن الله وحده العونُ وعليه سبحانهُ التكلان.

ثالثاً: الآياتُ القرآنية التي اشتملت على المد الكلمي المثقل في مقاماته البلاغية المتعددة

أولاً: مقامُ الحِجَاجِ

وهو موضوع البحث وقد وردت فيه ثلاث عشرة آية هي على الترتيب كما يلي مع مراعاة أنني أكتفي هنا من الآية بموطن الشاهد:

١- ﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ٧٦]

٢- ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٩]

٣- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٨]

٤- ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾ [آل عمران: ٢٠]

٥- ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٦١]

٦- ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [آل عمران: ٦٥]

٧- ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [آل عمران: ٦٦]

٨- ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ٧٣]

٩- ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ [الأنعام: ٨٠]

١٠، ١١ - ﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾ [الأنعام: ٨٠]

١٢- ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ﴾ [غافر: ٤٧]

١٣- ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ١٦]

ثانياً: مقامُ الشقاقِ والمُحادة

وقد وردت فيه تسعٌ آياتٍ على الترتيب كما يلي:

١- ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [الأنفال: ١٣]

٢- ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ﴾ [النحل: ٢٧]

٣- ﴿وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [محمد: (ﷺ): ٣٢]

٤- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ ﴾ [المجادلة: ٥]

٥- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴾ [المجادلة: ٢٠]

٦، ٧- ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [المجادلة: ٢٢]

٨- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [الحشر: ٤]

٩- ﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ ﴾ [الحشر: ٤]

ثالثاً: مقامُ الضلال

وقد وردت فيه ثلاث عشرة آية هي على الترتيب:

١- ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٧]

٢- ﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [البقرة: ١٩٨]

٣- ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [آل عمران: ٩٠]

٤- ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الأنعام: ٧٧]

٥- ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٦]

٦- ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: ٢٠]

٧- ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: ٨٦]

٨- ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ﴾ [الصافات: ٦٩]

٩- ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٥١]

١٠- ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الواقعة: ٩٢]

١١- ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ [القلم: ٢٦]

١٢- ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾ [المطففين: ٣٢]

١٣- ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧]

رابعاً: مقامُ الاستفهام التهكمي

وقد وردت فيه خمسُ آياتٍ هي على النحو التالي:

١- ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣]

٢- ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٤]

٣- ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ [يونس: ٥٩]

٤- ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩]

٥- ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤]

خامساً: مقامُ الدلالة على العموم

﴿دَآبَّةٍ﴾ و ﴿كَآفَّةً﴾ منكرين

وقد وردت في هذا المقام ثلاثٌ وعشرون آية، منها ثماني عشرة آيةً في ﴿دَآبَّةٍ﴾ وخمسُ آياتٍ في ﴿كَآفَّةً﴾ وهي على النحو التالي:

* أولاً: كلمة: ﴿دَآبَّةٍ﴾

١- ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ [البقرة: ١٦٤]

٢- ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣٨]

٣- ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ﴾ [الأنفال: ٢٢]

٤- ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الأنفال: ٥٥]

٥- ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]

٦- ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هود: ٥٦]

٧- ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ﴾ [النحل: ٤٩]

٨- ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [النحل: ٦١]

٩- ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور: ٤٥]

١٠- ﴿وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ [الحج: ١٨]

١١- ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [النمل: ٨٢]

١٢- ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ﴾ [العنكبوت: ٦٠]

١٣- ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ﴾ [لقمان: ١٠]

١٤- ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ ﴾ [سبأ: ١٤]

١٥- ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ [فاطر: ٢٨]

١٦- ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ [فاطر: ٤٥]

١٧- ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ [الشورى: ٢٩]

١٨- ﴿ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ﴾ [الجاثية: ٤]

* ثانياً: كلمة ﴿كَآفَّةً ﴾ :

١٩- ﴿ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ [البقرة: ٢٠٨]

٢٠- ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً ﴾ [التوبة: ٣٦]

٢١- ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ﴾ [التوبة: ١٢٢]

٢٢- ﴿كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ﴾ [التوبة: ٣٦]

٢٣- ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً ﴾ [سبأ: ٢٨]

سادساً: مقام المضارة

وقد وردت في هذا المقام ست آيات هي كما يلي:

١- ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٠٢]

٢- ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا ﴾ [البقرة: ٢٣٣]

٣- ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]

٤- ﴿أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾ [النساء: ١٢]

٥- ﴿وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٠]

٦- ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ﴾ [الطلاق: ٦]

سابعاً: مقامُ الحديثِ عن الجانّ

وقد وردت فيه سبعُ آياتٍ هي على الترتيب كما يلي:

١- ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٧]

٢- ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [النمل: ١٠]

٣- ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [القصص: ٣١]

٤- ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن: ١٥]

٥- ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩]

٦- ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦]

٧- ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٧٤]

ثامناً: مقامُ الاصطفاف

وقد وردت فيه خمسُ آياتٍ كما يلي:

١- ﴿ فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ﴾ [الحج: ٣٦]

٢- ﴿ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ﴾ [النور: ٤١]

٣- ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴾ [الصافات: ١]

٤- ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴾ [الصافات: ١٦٥]

٥- ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ ﴾ [الملك: ١٩]

تاسعاً: مقامُ الرد

وقد وردت فيه أربعُ آياتٍ كما يلي:

١- ﴿ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾ [يونس: ١٠٧]

٢- ﴿ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ ﴾ [النحل: ٧١]

٣- ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ ﴾ [القصص: ٧]

٤- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ [القصص: ٨٥]

عاشراً: مقام الحديث عن أسماء يوم القيامة

وقد وردت فيه خمسُ آياتٍ تشتمل على ثلاثةِ أسماء ليوم القيامة هي كما يلي:

١- ﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ١]

٢- ﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ٢]

٣- ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ٣]

٤- ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [النازعات: ٣٤]

٥- ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾ [عبس: ٣٣]

حادي عشر: مقامات أخرى متنوعة

وقد وردت في هذا الشأن إحدى عشرة آية هي كما يلي:

١- ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٢]

٢- ﴿لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]

٣- ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ﴾ [يونس: ٨٩]

٤- ﴿فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ﴾ [يونس: ٨٩]

٥- ﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ [المؤمنون: ١١٣]

٦- ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ﴾ [الزمر: ٧٥]

٧- ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٦]

٨- ﴿ مُدْهَآمَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٦١]

٩- ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ﴾ [المجادلة: ٣]

١٠- ﴿مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ﴾ [المجادلة: ٤]

١١- ﴿ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ [الفجر: ١٨]

وقد جمعتُ – بتوفيق الله تعالى – هذه الآيات التي اشتملت على المد الكلمي المثقل في القرآن الكريم حتى يمكن الإحاطة بأطراف الموضوع، وليدْرُسْ أيُّ باحث ما شاء من تلك المقامات أن يدرُس حسب رؤيته آملين بذلك أن نبرز الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم من خلال مبحث من مباحث علم التجويد وظاهرة من ظواهر علم الصوتيات.

الدلالة البلاغية للمد الكلمي المثقل في القرآن الكريم
«مقامُ الحجاج»

توطئة:

معنى الحجاج في اللغة:

قال ابن منظور في لسان العرب:

« **الحجُّ:** القصدُ.. ورجلٌ محجوجٌ أي مقصودٌ، هذا هو الأصلُ ثم تُعُورف استعماله في القصدِ إلى مكة للنُسكِ والحج إلى البيت خاصة، والحجُّ: قصدُ التوجه إلى البيت بالأعمال المشروعة فرضاً وسنة، ومن أمثال العرب: لجَّ فحجَّ، معناهُ: لجَّ فغلب من لاجَّهُ بحُججه يقال: حاججته أُحاجُّه حِجاجاً ومُحاجَّةً حتى حججْتُه: أي غلبتُه بالحُجج التي أدليتُ بها... والمحجَّةُ: الطريقُ، وقيل: جادَّةُ الطريق.. والحُجَّةُ: البُرْهانُ. وقيل: الحُجَّةُ: ما دوفع به الخصمُ، وقال الأزهريُّ: الوجهُ الذي يكون به الظَّفَرُ عند الخصومة، وهو رجُلٌ مِحْجاجٌ أي جدِلٌ.. والتحاجُّ: التخاصُمُ. وجمعُ الحُجَّةِ: حُججٌ وحِجاجٌ، وحاجَّهُ مُحاجَّةً وحِجاجًا : نازعهُ الحُجَّة، وحَجَّهُ يحُجُّهُ حجًّا: غلبه على حجته... واحتجَّ بالشيء: اتخذه حجة، قال الأزهريُّ: إنما سُمِّيت حُجَّةً؛ لأنها تُحجُّ؛ أي: تُقصدُ، لأنَّ القصدَ لها وإليها، وكذلك محجةُ الطريق: هي المقصدُ والمسلكُ، وفي حديث الدجَّال: «إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ» أي: مُحاجُّه ومغالبهُ بإظهار الحجة عليه. والحُجَّةُ: الدليلُ والبُرْهان يقال: حاججْتُه فأنا مُحاجٌّ وحجيجٌ: فعيلٌ بمعنى فاعل»[1].

ومن خلال ما سبق يتبيّنُ لنا أنَّ الأصلَ في معنى الحجِّ القصدُ، ومنه حِجٌّ

(١) انظر: لسان العرب: حجج.

البيت الحرام، أي: القصدُ إليه لأداء النُسُك، والتحاجُّ: التخاصم، والمحاجَّةُ: هي منازعةُ الحجَّة، والحجةُ هي الدليلُ والبرهان، ولم تتخلَّ الحجَّةُ عن المعنى الأصلي للمادة وهو القصد، فقد سُمِّيت حُجَّةً؛ لأنها تُحجُّ؛ أي تُقصَدُ، لأن القصدَ لها وإليها.

فالذي ينازع خصماً في أمر ما يُحاجُّه، ومن ثم يطلبُ غلبة خصمه وإفحامه بإقامة الحجة عليه وهي الدليلُ والبرهان.

وأسلوب الحجاج في القرآن الكريم لا يقتصرُ فقط على ما كان معتمداً على مادة «حجَّ» وإنما يأتي منها ومن غيرها، فللقرآن أساليبُ متعددةٌ في الجدل والحجاج كالمذهب الكلامي أو الاستدلال بمظاهر الطبيعة والكون على وجود الله أو غير ذلك من الأساليب، ليس هذا مقام الحديث عنها، وإنما الغرضُ هنا يَتَوجَّهُ إلى المحاجة التي وردت بلفظ «حجَّ» والتي اشتملت على ظاهرة المد الكلمي المثقل، لأبرز بلاغة المد الكلمي المثقل في مقام الحجاج، وكيف أنه كشف الحجاب عن الجانب النفسي في الخصومة واحتشاد الخصم بكل قوته لإثبات صحة دعواه وإن كان مبطلاً.

وقد وقع لي من خلال تتبُّعي لمواضع المد الكلمي المثقل في القرآن الكريم والتي بلغت مائة موضع وواحداً، وقع لي في الحجاج أو المحاجة ثلاثة عشر موضعاً، وقد سبق ذكرها إجمالاً في التمهيد من هذا البحث[1] والآن أستلهم من الله الرشد في إبراز الدلالة البلاغية للمد الكلمي المثقل في هذه الآيات.

(١) انظر: التمهيد ص: ٩٠١.

الدلالة البلاغية للمد الكلمي المثقل في القرآن الكريم

«مقامُ الحجاج»

* الموضع الأول:

قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٦].

والآية الكريمة وردت في سياق حديث الله (ﷻ) عن اليهود حيث آمن منهم ناسٌ ثم نافقوا، فخاطب اللهُ رسوله (ﷺ) والمؤمنين بقوله: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٧٥]

أي: كيف يؤمن هؤلاء وقد سمعوا التوراة من قبل «كلام الله» فحرفوها بعد ما فهموها ووعوها ثم إنهم نافقوا المؤمنين فقالوا: «ءَامَنَّا» فإذا خلا المنافقون منهم بمن لم ينافقوا منهم قالوا لهم عاتبين عليهم: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٦]

والمعنى: ليغالبوكم بالحجة عند ربكم يوم القيمة فيحتجوا عليكم بكتابكم أفلا تعقلون ما في ذلك من الضرر البالغ عليكم؟[1].

(١) انظر: الكشاف للإمام الزمخشري: ١٤٦/١ ضبط ومراجعة: يوسف الحمادي – مكتبة مصر.

وقد جاءت المحاجةُ في سياق الخبر: ﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ وهو خبرٌ ابتدائيٌّ حيث يلقي إلى خالي الذهن من مضمون الخبر وهم رفقاؤهم أرادوا إعلامهم بذلك وتنبيههم إليه ليمسكوا عن التحدث إليهم به.

وقد جاء هذا الخبر مسبوقاً باستفهامين ومتلُوّاً باستفهامين آخرين كُلٌّ منهما بالهمزة أما الأول فهو من الله (ﷻ) للمؤمنين ومعهم رسول الله (ﷺ): ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ﴾ والغرض هنا من الاستفهام الإنكار ومعناه لا ينبغي لكم أن تطمعوا في إيمان مثل هؤلاء.

والثاني من المنافقين من اليهود حيث قالوا لإخوانهم: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ وهو للإنكار التوبيخي فهم ينكرون عليهم حديثهم للمؤمنين عن صفة رسول الله (ﷺ) في التوراة موبخين لهم معنفين أن أذاعوا سراً طالما كتموه رغبة منهم في إنكار الحق وجحوده.

ويجئ الاستفهامُ الثالث بعد المحاجة وهو قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ وهو صادرٌ من اليهود كذلك لإخوانهم والغرض منه كذلك الإنكار التوبيخي فهو يسير في نفس سياق سابقه لكنه أشدُّ لذعاً وأكثرُ توبيخاً حيثُ اتهمهم بالجنون وعدم التعقل لما فعلوه.

ثم يجيء الاستفهام الرابعُ وهو قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة: ٧٧] وهو صادرٌ من الله (ﷻ) ومعناهُ التقريعُ

والتوبيخُ[1] والإنكار عليهم أن يتحدثوا مثل هذا الحديث متغافلين عن إحاطة علم الله (ﷻ) بالسر والعلانية.

والمدَّ الكلمي المثقل في كلمة «**لِيُحَآجُّوكُم**» ومقداره ستٌّ حركاتٍ وهو مـدٌّ لازمٌ أو واجبٌ يوحي متضامناً مع السياق المفعم بالاستفهامات الإنكارية بالهمزة سابقاً ولاحقاً – يوحي بالإصرار على انتزاع الحجة والقوة على مغالبة الخـصم بإقامة الحجة عليه.

قال في فتح القدير: «والحجةُ: الكلام المستقيم، وحاججتُ فلاناً فحججتـهُ أي غلبتهُ بالحجة».[2]

فالقضيةُ هنا منازعةٌ بين الحق والباطل والصواب والخطأ والشر والخير وهي تحتاجُ إلى شحذ البراهين، وإقامة الحجج ليثبت الخصمُ سلامة مسلكه ومن ثم جاء الإيقاع المتطاول للمد الكلمي المثقل في كلمة «**لِيُحَآجُّوكُم**» هكـذا بثقلـه البلاغي ليبرز إحساسَ المنافقين من أهل الكتاب بضعف موقفهم وأنَّ المـؤمنين سيغلبونهم بالحجة والبرهان، وهذا يكشف علمهـم بـأنهم علـى الباطـل وأن المؤمنين على الحق المبين، وهذا ما ينطق به كتابهم كما قـال تعـالى: ﴿**ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ**﴾[البقرة: ١٤٦].

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن – تفسير القرطبي للإمام القرطبـي: ٤/٢ تحقيـق، أحمـد البردوني وإبراهيم أطفيش – دار الكتب المصرية – القاهرة ط ثانيـة ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م.

(٢) انظر: فتح القدير للشوكاني: ٩١/١ مكتبة الرشيد – الرياض ط السادسة ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩م.

* الموضع الثاني:

قوله تعالى:

﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴾[البقرة: ١٣٩].

وردت هذه الآيةُ كذلك في معرض الحديث عن أهل الكتاب حيثُ يدَّعون أنَّ اليهودية والنصرانية خيرُ الأديان وأنها كانت دين الأنبياء، والقرآنُ يردُّ عليهم بما يرسِّخُ عالمية الإسلام وأنه دين كل الأنبياء يقول تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[البقرة: ١٣٠: ١٣٢].

وها هم اليهود يطلبون من المؤمنين أن يتهوَّدوا، ويطلب منهم النصارى أن يتنصروا فيجيب القرآن بأن الإسلام صبغة الله: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾[البقرة: ١٣٨]

ثم يجيء الاستفهامُ الإنكاريُّ في مقام المحاجة التي هي موطن الشاهد: ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴾لينكر عليهم إصرارهم على الجدل في وحدانية الله.

يقول صاحبُ الظلال:

«ثم تمضي الحجةُ الدامغةُ إلى نهايتها الحاسمة: ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ ﴾

ولا مجال للجدل في وحدانية الله وربوبيته فهو ربنا وربكم ونحن محاسبون بأعمالنا وعليكم وزرُ أعمالكم ونحن متجردون له مخلصون لا نشرك به شيئاً ولا نرجو معه أحداً، وهذا الكلام تقريرٌ لموقف المسلمين واعتقادهم وهو غيرُ قابلٍ للجدل والمحاجَّة واللجاج».(١)

إنَّ دلالة المد الكلمي المثقل في قوله تعالى: ﴿أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ﴾ لتشير بما فيها من استطالة في الصوت مع مجيئه في ثوب الاستفهام الإنكاري إلى حرص هؤلاء القوم على المغالبة والمجادلة ولو كانت على غير حق، ووراءَ ذلك إحساسٌ بخطأ مسلكهم في تمسكهم بدينهم، لكنهم يغالطون أنفسهم ويدعون أفضليتهم وعالمية دينهم ومن ثم ألحُّوا في الحجج الباطلة، لكنها لا تجدي نفعاً فهي كسراب بقيعةٍ يحسبه الظمآنُ ماء، وهي حججٌ واهيةٌ تشبه الزَبَد الذي يذهبُ جفاء، سواءٌ في حجاجهم الباطل أنهم أولى بالله، أم في ادعائهم أنَّ اليهودية أو النصرانية كانت دين إبراهيم وبنيه من الأنبياء ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٠]

لقد كشفتهم الآياتُ بهذا المد المتطاول «أَتُحَآجُّونَنَا» الذي يبرز ضعف موقفهم حيث يلملمون كلمة من هنا وأخرى من هناك مصرين على الباطل، ثم

(١) انظر: في ظلال القرآن: سيد قطب: ١١٨/١، ١١٩ – دار الشروق – القاهرة.

بهذه الاستفهامات الإنكارية المتتاليـــة: « **أَمْ نَقُولُونَ .... قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ .... وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ** » وفي ذلك تقريعٌ وتوبيخٌ لهم وقطعٌ لحججهم الواهية التي سرعان ما انكشف زيفُها وضلالُها وباطُلُهـــا، وانقـــشعت غياهبُ ظلمتها، ليعلن القرآنُ أنَّ الدين العالميَّ الحق هو دينُ الإسلام.

* الموضع الثالث:

قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.[البقرة: ٢٥٨]

وردتْ هذه المحاجَّةُ بين طاغية جبار وهو الملكُ النمروذ وبين نبي الله إبراهيم (عليه السلام) فحاجَّ إبراهيمَ في ربه، أي جادلهُ في ألوهيته سبحانه، حيث ادعى أنَّه يحي ويميت كما يحي اللهُ ويميت.

وقد وقعت هذه المحاجةُ ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ على معنى أنَّ إيتاءَ الملك أبطره وأورثهُ الكبرَ والعتوَّ فحاجَّ لذلك[1] فـ « أَنْ» هنا تعليلٌ لما قبلها، أو على أنهُ «وضع المحاجة التي هي أقبحُ وجوه الكفر موضع ما يجب عليه من الشكر كما يقال: عاديتني لأني أحسنتُ إليك».[2]

وخلاصةُ هذه المحاجَّة أنَّ النمروذَ أراد أن يثبت لإبراهيم (عليه السلام) أنه يحي ويميت بأن يعفو عمن وجب عليه القتلُ، ويقتل من لم يجب عليه القتل، فانتقل إبراهيمُ (عليه السلام) إلى حجةٍ أفحمتهُ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ أي: «انقطع وسكت متحيراً».[3]

---

(١) انظر: الكشاف: ١/٢٧٣.

(٢) انظر: فتح القدير: ١/٢٤٧.

(٣) السابق والصفحة.

وبلاغة المدَّ الكلمي المثقل في كلمة « حَآجَّ » تتمثَّلُ في حرصِ هذا الطاغية على مغالبة إبراهيم (عليه السلام) في إقامة الحجة عليه حين ادعى إبراهيمُ أنَّ ربه هو الذي يحيي ويميت، وكأنهُ حين نطق إبراهيمُ (عليه السلام) بهذا الكلام، ظَنَّ أنه ظفر بغلبته على إبراهيم وانتزع منه الحجة، ليثبت له أنهُ إلهٌ بادعائه أنهُ يحيي ويميتُ كما يفعلُ إلهُك، لكنه سرعان ما باء بالفشل الذريع حين قال له إبراهيمُ (عليه السلام) ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ﴾، «لكون هذه الحجة لا تجدي فيها المغالطة ولا يتيسرُ للكافر أن يخرج عنها بمخرج مكابرة ومشاغبة».(١)

فجوابُ هذا الكافر ينبئُ عن ضعف عقله وقلة فهمه ولذلك حاجه إبراهيم (عليه السلام) وأسكته حين انتقل إلى دليل آخر لا تمكن المغالطة فيه، وهذا لونٌ من ألوان البديع يعرف بالحيْدةِ (٢) والانتقال:

«وهو أن يجيبَ المسئولُ بجواب، لا يصلحُ أن يكون جواباً عما سُئِل عنه، أو ينتقل المستدِلُّ إلى استدلالٍ غير الذي كان آخذاً فيه، وإنما يكون هذا بلاغة إذا أتى به المستدل بعد معارضة بما يدلُّ على أنَّ المعترض لم يفهم استدلالهُ، فينتقل عنه إلى استدلالٍ يَقطعُ به الخصم عند فهمه».(٣)

وقد استدل ابن أبي الإصبع (رحمه الله) على هذا اللون البديعي العقلي بتلك الآية الكريمة فقال:

---

(١) فتح القدير: ٢٤٧/١.

(٢) الحَيْدة: من حاد عن الشيء يحيدُ حَيْداً: مال عنه وعدل [انظر: اللسان: حيد].

(٣) انظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الإصبع المصري: ٥٦٥ تقديم وتحقيق الدكتور/ حفني محمد شرف – إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

«وقد جاء في الكتاب العزيز من ذلك قوله تعالى: حكاية عن الخليل (عليه السلام) في قوله للجبار: ﴿ رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ فقال الجبارُ: ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾ ثم دعا بإنسان فقتلهُ، ودعا بمن وجب عليه القتلُ فأعتقهُ، فلما علم الخليل أنه لم يفهم معنى الإماتة والإحياء اللذين أرادهما انتقل إلى استدلالٍ آخر فقال: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ ﴾ فأتاه باستدلالٍ لا يجدُ لاسمه اسماً مشتركاً معهُ، فيتعلق بظاهره على طريق المغالطة، أو لأنهُ لم يفهم إلا ذلك الوجه الذي تعلق به، فلا جرم أنَّ الجبار انقطع وأخبر الله سبحانه عنه بذلك حيث قال: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴾[1]

وقد جاء المدُّ في كلمة « حَآجَّ » في سياق الاستفهام «أَلَمْ تَرَ» وهمزة الاستفهام لإنكار النفي والتقرير المنفي: أي: ألم ينته علمك أو نظرك إلى هذا الذي صدرت منه هذه المحاجة؟ قال الفرَّاءُ: «أَلَمْ تَرَ» بمعنى هل رأيت[2] وإنما كان كذلك؛ لأن الهمزة بمثابة النفي وقد دخلت على نفي وهو «لم»، فيكون إثباتاً، «لأن نفي النفي إثباتٌ وهذا مرادُ من قال: إنَّ الهمزة فيه للتقرير أي لحمل المخاطب على الإقرار بما دخله النفيُ لا للتقرير بالانتفاء»[3].

(١) تحرير التحبير: ٥٦.

(٢) انظر: فتح القدير: ٢٤٧/١.

(٣) انظر: الإيضاح: في علوم البلاغة للخطيب القزويني تحقيق د/ عبد القادر حسين – مكتبة الآداب: ١٧٣ وانظر كذلك من شروح التلخيص: المطول شرح تلخيص مفتاح

ولاشك أن الاستفهام يوحي كذلك بالتعجب من هذه المحاجة الباطلة.

وبلاغةُ المد الكلمي المثقل هنا تظهرُ في انعكاس الحالة النفسية الخبيثة لهذا الطاغية الذي حرصَ على مغالبة إبراهيم (عليه السلام) بالباطل من أجل ذلك حاجَّهُ وجادلهُ أملاً في إقامة الحجة عليه، لكن الطاغية بغبائه يقيم عليه الحجة بطريق القياس السطحي مما يدُلُّ على حماقته وجهله ولذلك باء بالفشل والخسران ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

العلوم للعلامة سعد الدين التفتازاني: ٤٢٢ طبعة منفصلة بتحقيق الدكتور/ عبد الحميد هنداوي – دار الكتب العلمية – بيروت لبنان – ط أولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م.

* الموضع الرابع:

قوله تعالى:

﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[آل عمران: ٢٠].

وردت المحاجَّةُ هنا في سياق الحديث عن جدلِ أهل الكتاب وكتمانهم للعلم الصحيح لديهم، ومن ثم اختلفوا في الإيمان برسول الله (ﷺ) بين مؤيد ومعارض، وقد أقر الله (ﷻ) وشهد لنفسه بالوحدانية وبين أنَّ الدين الحقَّ هو دين الإسلام.

ثم بين سبحانه أنهم – أعني اليهود والنصارى – سيحاجونه لا محالة: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ﴾.

وقد جاءت هذه المحاجة في صيغة الشرط بـ «إن» وجوابه جملة: ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ﴾وهو جملةٌ أمرية لذا اقترنت بالفاء الرابطة للجواب بالشرط.(١)

وموطن الشاهد البلاغي قوله: « حَآجُّوكَ» والمد الكلمي المثقل فيه يشير إلى احتشادِ القوم لجدال النبي (ﷺ) بالباطل والمغالطة لذا جاء جوابُ الشرطِ جملةً طلبية أمرية على سبيل الإرشاد للنبي (ﷺ) بما يقوله لهم ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ

(١) انظر: «النحو الوافي لعباس حسن» ٣٨٨/٤ آوند دانش للطباعة والنشر ط أولى: ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م.

﴿وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾.

قال الإمامُ الرازي:

«وفي كيفية إيراد هذا الكلام طريقان:

• **الطريق الأول:** أن هذا إعراضٌ عن المحاجَّةِ وذلك لأنه (ﷺ) كان قد أظهر لهم الحجة على صدقه قبل نزول هذه الآية مراراً وأطواراً.. فظهر أنه لم يبق من أسباب إقامة الحجة على فرقِ الكفار شيٌ إلا وقد حصل، فإن تركتم الأنفَ والحسدَ وتمسكتم بها كنتم أنت المهتدين، وإن أعرضتم فإن الله تعالى من وراء مجازاتكم.

• **الطريق الثاني:** أن قولهُ: ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ محاجَّةٌ وإظهارٌ للدليل وبيانه من وجوه:

• **الوجه الأول:** أنَّ القومَ كانوا مقرين بوجود الصانع وكونه مستحقاً للعبادة.

• **الوجه الثاني:** أن اليهود والنصارى وعبدة الأوثان كانوا مقرين بتعظيم إبراهيم (عليه السلام) فتقدير الآية كأنه تعالى قال: «فإن نازعَوك يا محمدُ في هذه التفاصيل فقل إني مستمسكٌ بطريقة إبراهيم وأنتم معترفون بأن طريقته حقة»[1] أ. هـ

وفي ذكر الوجه في قوله: ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ مجازٌ مرسلٌ علاقته الجزئية حيث عبر بالجزء وهو الوجه وأراد الكل وهو الذات أو النفس، ويمكن أن يحمل على أنه كناية عن صفة وهي الانقياد والخضوع والاستسلام والطاعة لله رب العالمين، وكلا المحملين حسنٌ وإنما اختار الوجه لأنه أشرفُ الأعضاء.

(١) مفاتيح الغيب للإمام الفخر الرازي: ١٧٣/٧، ١٧٤ دار إحياء التراث العربي – بيروت.

قال في البحر المحيط:

«وجوابُ الشرط هو: ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ والمعنى: انقدتُ وأطعتُ وخضعتُ لله وحده، وعبر بالوجه عن جميع ذاته، لأن الوجه أشرفُ الأعضاء، وإذا خضع الوجْهُ فما سواه أخضع، وقال المروزيُّ وسبقه الفرَّاءُ إلى معناهُ: معنى أسلمتُ وجهيِ: أي: ديني؛ لأنَّ الإيمان كالوجه بين الأعمال، إذ هو الأصلُ»(١).

وعلى توجيه المروزي والفراء يكون في الوجه استعارةٌ تصريحيةٌ أصلية، حيث شبه الدين في أهميته للإنسان بالوجه والعلاقةُ هي فساد الحياة بدونهما إذ هما عمادُ الحياة للإنسان، ووراءها إيحاءٌ بأهمية الدين للمرءِ وأنه لا قيمة له بدونه، فالذي يعيش بلا دين فهو ميْتٌ أفرغت قواه الروحية من معنى الحياة وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وجاءت جملة مقول القول الذي أمره الله أن يقوله لهم – جاءت في ثوب الاستفهام بالهمزة «ءَأَسْلَمْتُمْ»؟ وهو استفهامٌ الغرضُ منه الأمرُ لحملهم على الإذعان والتسليم، وإنما جاء بصيغة الاستفهام ليبرز عنادهم وبعدهم عن الإنصاف.

يقول الإمام الرازي في مفاتيح الغيب:

«ثم قال تعالى: «ءَأَسْلَمْتُمْ» فهو استفهامٌ في معرض التقرير والمقصودُ

(١) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلس: ٧٢/٣ تحقيق: صدقي محمد جميل – دار الفكر – بيروت – الطبعة الأولى – ١٤٢ هـ.

منه الأمرُ، قال النحويون: إنما جاء بالأمر في صورة الاستفهام؛ لأنه بمنزلته في طلب الفعل والاستدعاء إليه، إلا أنَّ في التعبير عن معنى الأمر بلفظ الاستفهام فائدة زائدة وهي التعبير بكون المخاطب معانداً بعيداً عن الإنصاف؛ لأن المنصف إذا ظهرت له الحجة لم يتوقف بل في الحال يقبل، ونظيره قولك لمن لخصت له المسألة في غاية التلخيص والكشف والبيان: هل فهمتها؟ فإن فيه الإشارة إلى كون المخاطب بليداً قليل الفهم، وقال اللهُ في آية الخمر: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١] وفيه إشارة إلى التقاعُدِ عن الانتهاء والحرص الشديد على تعاطي المنهي عنه»[1]

إنَّ المد الكلمي المثقل في كلمة « حَآجُّوكَ» ليوحي – متآزراً مع السياق كله والنظم بما فيه من شرط وجوابه واستفهام وقصر كما في نهاية الآية – يوحي بتمحُّل أهل الكتاب الحجج من هنا وهناك واعتمادهم على السفسطة الفارغة، المبنية على تغيير الحقائق وتبديلها من أجل كتمان الحق الذي علموه، حرصاً منهم على عدم إتباع محمد (ﷺ) فهم يعرفون الحق لكنهم ينكرون ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦].

ويرفعُ الله (ﷻ) الحرج عن رسوله (ﷺ) بقوله: ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ﴾ وبقوله: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ هكذا بأسلوب القصر بطريق «إنما» حيث قصر ما يلزمه (ﷺ) في أمر الدعوة على البلاغ، فليس أمر الهداية إليه ووراءه تخفيفٌ لعبء المعاناة التي يلاقيها (ﷺ) في جدال هؤلاء الممترين الذين يحاجون بالباطل والضلال.

(١) مفاتيح الغيب: ١٧٥/٧.

* الموضع الخامس:

قوله تعالى:

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

إذا كانت الآيةُ السابقةُ محاجَّةً من أهل الكتاب عموماً، فإن هذه الآية خاصةٌ بالنصارى من أهل نجران الذين أتوْا رسول الله (ﷺ) يحاجونه في عيسى (عليه السلام)، وأنه ابنُ الله؛ لأنهُ خُلِق بلا أبٍ، فردَّ عليهم القرآن: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٩، ٦٠].

ثم قال: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ﴾ أي في عيسى وفي أنهُ نبيٌّ لا إله، فادعهم إلى المباهلة، والمباهلةُ: الملاعنة، وأصلُ الابتهال: الاجتهاد في الدعاء باللعن وغيره يقال بهله اللهُ: أي لعَنهُ، والبهلُ: اللعنُ.. وباهلَ القوم بعضهم بعضاً: تلاعنوا، ومعنى المباهلة: أن يجتمع القومُ إذا اختلفوا في شيءٍ فيقولوا: لعنةُ الله على الظالم منا[1] قال في الكشاف: «ثم استعمل في كل دعاءٍ يجتهد فيه وإن لم يكن التعاناً»[2].

لاشك أنَّ القوم تراجعوا عن الملاعنة؛ لأنهم علموا تمام العلم أنهم لن تقوم

(١) اللسان: بهل وانظر كذلك: فتح القدير: ١/٣١٠.

(٢) الكشاف: ١/٣٢٤.

لهم قائمةٌ إذا فعلوها، ولذلك عادوا وصالحوا رسول الله (ﷺ) على الجزية.

والشاهدُ البلاغيُّ قوله: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ﴾، حيث جاء المدُّ الكلمي المثقل في كلمة « حَآجَّكَ » ليبرز إصرارَ هؤلاءِ القوم على مخاصمة رسول الله (ﷺ) ومنازعته الحجة في ادعاء ألوهية عيسى (عليه السلام) لكنها محاولة عقيمة إذ لقن الله تعالى رسوله (ﷺ) الحجة بدعوتهم إلى الملاعنة.

وهكذا يبرز المدُّ بإيقاعه المتطاول إحساسَ هؤلاء بضعف موقفهم وأنهم على باطل لذلك سيجدون في المحاجة والمجادلة الباطلة وهذا يعكس بطلان عقيدتهم ويؤكد أنهم يعلمون ذلك لكنهم يجحدون الحق وينكرونه.

وهو يعكِسُ كذلك إمعانَ القوم في الجدال، وإلحاحهم في خصام النبي (ﷺ) مع علمهم بأنهم على الباطل، وقد تصوروا أن مخاصمتهم لرسول الله (ﷺ) ستدفعُ عنهم الارتيابَ في عقيدتهم لكنهم فوجئوا بالحجة الدامغة التي لا قبل لهم بها وهي الملاعنة فانكشف زيفهم أمام العالمين.

* الموضعان السادس والسابع:

قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[آل عمران: ٦٥: ٦٦]

ويمضي السياق ليبين أن طبيعة أهل الكتاب هي الحجاجُ واللجاج والشك والارتياب والإصرار على العقيدة الباطلة ومنها ادعاءُ أنَّ إبراهيمَ (عليه السلام) كان يهودياً أو نصرانياً.

وها هو القرآنُ يدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٦٤].

وقد جاءت هذه المحاجةُ مسبوقةً بأسلوبين إنشائيين: النداء ثم الاستفهام: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ والنداءُ هنا يذكرهم بما يجب عليهم من انقياد وإتباع لله، لأنهم أهل كتاب، ووراءَه نوعٌ من التبكيت والتوبيخ لهم حيث أتتهم كتب الله ورسله ومع ذلك يجادلون بالباطل.

ثم يجيءُ الاستفهامُ الإنكاري: ﴿لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ ليفضحهم ويكشف جهلهم بالتاريخ؛ وأداةُ الاستفهام هي «ما وقد حذفت ألفها لدخول اللام الجارة عليها والفعل معها مضارع، ولذا كان معناهُ: «لا ينبغي أن يكون والغرضُ بذلك تنبيه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل أو يرتدع عن فعل ما

همَّ به».[1]

فالاستفهامُ الإنكاريُّ يحملُ معنى التجهيل والتقريع والتوبيخ لجهلهم بالتاريخ، فقد كان إبراهيمُ (عليه السلام) قبل موسى (عليه السلام) بألف عام، وكان موسى (عليه السلام) قبل عيسى (عليه السلام) بألف عام.[2]

والشاهدُ البلاغيُّ قوله: ﴿لِمَ تُحَآجُّونَ﴾وقوله: ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ﴾.

والمدُّ الكلمي المثقل في الموضعين يشير إلى الحماقة والجهل الذي مُني به هؤلاء القوم حين يلحون في الجدال، ويمعنون في المراء مدَّعين أنَّ إبراهيمَ كان يهودياً أو نصرانياً فيرد القرآن عليهم: ﴿وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ هكذا بهذا الاستفهام الإنكاري التهكمي التوبيخي الذي يتهمهم في أعظم صفة يتمتعُ بها الإنسان وهي صفةُ العقل؛ لإتيانهم ما لا يُعقل.

ثم إنهم جادلوا في الحلال والحرام وقد كان لهم علم من كتبهم ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾وقد جاء المسندُ إليه معرفاً بضمير الخطاب للجمع: «أنتم» لتبكيتهم بإحضار صورتهم ماثلة أمام السامع وقد سبق بهاء التنبيه ليبعث مشاعرهم في الانتباه لحماقتهم ثم يجيء اسم الإشارة «هَٰٓؤُلَآءِ» وهو مبتدأٌ ثانٍ ليشير إلى احتقارهم والسخرية منهم، والجدالُ إذا كان قائماً على علم فلا حرج فيه لكن الإنكار على من يجادل بغير علم: ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾

(١) الإيضاح: ١٧٢.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١٠٨/٤.

قال الإمام القرطبي:

«في الآية دليلٌ على المنع من الجدال لمن لا عِلمَ له والحظر على من لا تحقيق عنده... وقد ورد الأمر بالجدال لمن علم وأيقن فقال تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥][1]

فالمد الكلمي المثقل هنا يوحي بتحقيرهم حيث يصرون على الجدال بالجهل والمراء بالباطل، والعجبُ العجاب أنهم لا يتحدثون فيما ليس لهم به علم حديثاً عادياً وإنما هو محاجَّة ﴿لِمَ تُحَآجُّونَ﴾، ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ﴾ والمد هنا يعكس الإصرار على العناد والإمعان في الجهل، وما أقبحه من جهل، وما أشدها من حماقة أن يتحدثَ الإنسانُ فيما لا يعلم، بَلْهَ أن يُحاجَّ فيه ويجادل وهو يعلم أنه جاهل ويتيقن أنه على الباطل.

وهكذا يكشف لنا المد الكلمي المثقل في الموضعين بلاهة أهل الكتاب من اليهود والنصارى إضافة إلى ما سبق، لكنها هنا بلاهةٌ تكشف جهلهم وحرصهم على انتساب الصالحين إليهم، لكن الله يتولى الرد المفحم: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧] فيطهره (عليه السلام) من اليهودية والنصرانية والشرك ويصفه بالإسلام والحنيفية، وهذه حجةٌ دامغةٌ بأن الإسلام دينُ إبراهيم (عليه السلام)، كما هو دينُ كل الأنبياء.

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١٠٨/١

* **الموضع الثامن:**

قوله تعالى:

﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٧٣]

ها هي طائفةٌ أخرى من أحبار اليهود يجتمعون فيقولون: ﴿ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٢] يريدون بذلك إثناء المؤمنين وفتنتهم عن الإسلام، ثم زادوا في بغيهم وحسدهم فقالوا: ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ أي لا تصدِّقوا تصديقاً يقينياً إلاَّ لمن كان على ملتكم وأظهروا الإيمان خداعاً للمسلمين، فرد عليهم القرآن: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾وقوله تعالى: ﴿ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾.

المعنى: «أسرُّوا تصديقكم بأنَّ المسلمين قد أوتوا من كتب الله مثل ما أوتيتم ولا تفشوه إلا لاتباع دينكم».[1]

﴿ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾؛ أي: اكتموا ذلك ولا تفشوه حتى لا يُحاجوكم عند ربكم يوم القيامة.

المحاجَّةُ هنا من قبل المؤمنين وهي محاجةٌ صادقة لأنها قائمةٌ على حججٍ صحيحة وعقيدةٍ سليمة، وهي موجَّهة ضد أهل الكتاب، إن هُم أظهروا ما في

(١) فتح القدير: ٣١٤/١.

كتبهم من صدق محمد (ﷺ) أن يقيم المسلمون عليهم الحجة يوم القيامة.

والمد الكلمي المثقل في كلمة ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ يشيرُ إلى توغُّلِ هذه الحجة في الصدق والبرهان، وهم يعلمون ذلك علم اليقين؛ لأنها حجةٌ قويةٌ قائمةٌ على أساسٍ متين.

وقد اكتنف هذا المدَّ أسلوبان إنشائيان كلاهما أمر: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾، ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ والغرض من الأمر إرشادُ النبي (ﷺ) في ردّه على أهل الكتاب، وجاء مقول القول في كلا الأمرين مؤكداً بـــ « إِنَّ» واسمية الجملة، لأهميته ولمواجهة إنكار الجاحدين من أهل الكتاب.

إنَّ تتابع حركات المد الكلمي المثقل في كلمة «يُحَآجُّوكُمْ» ليشير إلى كثرة الحجج التي يحتج بها المسلمون يوم القيامة، وإقامةُ الحجة عليهم في مثل هذا الزمان العصيب بين يدي الله (ﷻ) يزلزل كيانهم ويبدد آمالهم، إن كان ثمة لهم آمال، ويفتح أمامهم باب اليأس والقنوط من رحمة الله.

إنَّ هؤلاءِ القوم بلغت بهم الحماقةُ والجهل، أنهم يريدون أن يتلاعبوا مع الله، وخيَّل لهم شيطانهُم أنَّ سترهم لباطلهم وإخفاءهم لحق المسلمين في نزول كتاب كريم وبعثة رسول أمين، سيكون عذراً لهم عند الله يوم القيامة، ونسوا أن الله يعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تخفي الصدور، وكل ما يشغلهم هو الخوفُ من أن يقيم المسلمون عليهم الحجة يوم القيامة: ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾.

لقد أبرز المد الكلمي المثقل في هذه الكلمة الأثر النفسي للرعب والهلع الذي يملأُ قلوب هؤلاء إن هم أظهروا الحقيقة التي تنطق بها كتبهم، ولا هَمَّ لهم إلا أن ينجوا بأنفسهم ولو كانت سفينة النجاة هي الكذب والتزوير والضلال المبين.

* الموضع التاسع والعاشر والحادي عشر:

قوله تعالى:

﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٠].

المقامُ هنا مقامُ توحيدٍ ونفيٍ للشركِ بالله لكن عبدة الكواكب والنجوم الذين هم قومُ إبراهيم (عليه السلام) ينكرون وحدانية الله وها هو خليل الرحمن يقيم عليهم الحجة والبينة كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [الأنعام من ٧٦ إلى ٧٩]، وهو يعلمُ خطأهم لكنه يجاري خصومَهُ ويسلم لهم أولاً حتى يذعنوا له وينصاعوا لحجته.

قال صاحبُ الكشَّاف: «وهذا قولُ من ينصفُ خصمَهُ مع علمه بأنه مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه، ولأن ذلك أدعى إلى الحق وأنجى من الشغبِ ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة»(١). ثم يأتي موطن الشاهد البلاغي وهو قوله: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِ ﴾

(١) الكشاف: ٢/١٠٥.

ونحن هنا أمام ثلاثة مدود كلها من المد الكلمي المثقل.

* الأول: جاء في صيغة الخبر ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥ ﴾ وهو خبرٌ ابتدائيٌّ حيث يلقي إلى مخاطبٍ خالي الذهن من مضمون الخبر، والغرضُ من جملة الخبر إعلامُنا بما وقع من خصومة هؤلاءِ القوم لإبراهيم (عليه السلام) في قضية التوحيد، وما ضويتُه تدُلُّ على تحقق وقوع الحجاج.

والمدُّ الكلمي المثقل يشير إلى إلحاحهم في الجدال، وإمعانهم في الحجاج حتى يبينوا له صحة مسلكهم بعد أن أقام عليهم الحجة المقنعة أنَّ هذه الكواكب إنما هي أجرامٌ مُسَخَّرةٌ قابلةٌ للتغيير والتحول ومثل هذا لا يصلح أن يكون إلهاً.

فهو يشيرُ بتطاول حركاته وطول إيقاعه إلى إحساسهم بالانهزام العقلي أمام نصاعة حجة خليل الرحمن (عليه السلام)، وقد كان (عليه السلام) قويَّ الحجة حاضر البديهة مفحماً لخصومه.

يقول صاحبُ الظلال:

«إنَّ الفطرةَ حين تنحرف تضلُّ ثم تتمادى في ضلالها وتتسع الزاوية ويبعد الخط عن نقطة الابتداء حتى ليصعب عليها أن تئوب، وهؤلاء قومُ إبراهيم (عليه السلام) يعبدون أصناماً وكواكب ونجوماً، فلا يتفكرون ولا يتدبرون هذه الرحلة الهائلة التي تمَّت في نفسِ إبراهيم، ولم يكن هذا داعياً لهم لمجرد التفكير والتدبر، بل جاءوا يجادلونه ويحاجونه وهم على هذا الوهن الظاهر في تصوراتهم وفي ضلالٍ مبين».[1]

وقد جاءت محاجةُ خليل الرحمنِ لقومه على طريقةِ المذهب الكلامي حيث استدل بحجته القوية على بطلان عقيدتهم «والمذهبُ الكلاميُّ عبارة عن احتجاج

(١) في ظلال القرآن: ١١٤١/٢.

المتكلم على المعنى المقصود بحجةٍ عقليةٍ تقطعُ المعاند له فيه ومنه هذه الآية: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ﴾إلى قوله: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾[1]

* ثم يجئ الموضع الثاني والثالث وهو قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ﴾

وهنا مَدانِ كلاهما في كلمةٍ واحدةٍ «أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي» الأولُ بالألف والثاني بالواو، «وأصل الكلمة: أتحاجونني بنون الجمع ونون الوقاية أدغمت نون الجمع في نون الوقاية».[2]

وقد جاء المدُّ الكلمي المثقل هنا في صيغة الاستفهام الإنكاري، فالغرضُ من الاستفهام هنا الإنكارُ عليهم والتقريعُ لهم وتوبيخهم على إصرارهم على الخصومة والجدال الباطل مع بيان وظهور أدلة التوحيد أمامهم حال تحقق هداية الله لخليله (عليه السلام).

والاستفهامُ هنا من جانب إبراهيم (عليه السلام) لهم مع المد الكلمي المثقل في كلمةٍ واحدةٍ مكرّرًا مرتين يشير إلى تعجُّب خليل الرحمنِ من إصرارهم على منازعة الحجة ومجادلته بالباطلِ والسفسطة بعدما ظهرت لهم الحقيقة وهي زيفُ معبوداتهم وأنها لا تصلح أن تكون إلهاً يُعْبَدُ من دون الله، ومع ذلك يُلحُّون في الجدلِ العقيم، آملين أن يثنوا نبي الله إبراهيم (عليه السلام) عن عقيدته وتوحيده لربه وأن يرجعَ إلى عقيدتهم.

وقد علل إنكاره بهذه الجملة الحالية ﴿ وَقَدْ هَدَىٰنِ ﴾ «يعني لما ثبت بالدليل

(١) انظر: تحرير التحبير: ١١٩.

(٢) فتح القدير: ٣٨/٢.

الموجب للهداية واليقين صحةُ قولي فكيف يلتفتُ إلى حججكم العليلة وكلماتكم الباطلة».(١)

وقد علَّلُوا حجتهم الواهية بأن الأصنام ستضره فأجابهم بحجةٍ أقوى ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا﴾ هكذا بأسلوب القصر بطريق النفي والاستثناء، فقد نفى عن نفسه الخوف من ضر آلهتهم؛ لأنها أصنامٌ لا تضر ولا تنفع إلا أن يكون الله قد أراد له ضراً أو نفعاً.

وتتوالى الاستفهاماتُ الإنكاريةُ في السياق لتبرز ضعف عقولهم وفساد عقيدتهم.

﴿وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا﴾ [الأنعام: ٨٠، ٨١].

فبعد أن أنكر عليهم المحاجة ﴿قَالَ أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾ أتبعها بإنكار جمود عقولهم ورفضهم قبول الأدلة الواضحة بهذا الاستفهام الإنكاري: ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ وفيه نوعٌ من التوبيخ والتقريع والسخرية من ضآلة عقولهم وقلة فهمهم.

ثم يتبعه باستفهام آخر يثير العجب من حالهم حيث خوفوه بالجمادات ولم يخافوا هم من رب الأرض والسماوات ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا﴾.

(١) مفاتيح الغيب: ٤٧/١٣.

قال الإمام الفخر الرازي: ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾ كناية عن امتناع وجود الحجة والسلطان في مثل هذه القصة.(١)

وهي كناية عن صفة وهي تدل على تنكبهم الطريق الصحيح وتأسيس محاجتهم على الباطل والهوى والضلال ثم خاطبهم أخيراً بهذا الاستفهام: ﴿فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ليجعلهم هم الذين يراجعون أنفسهم ويُعملون عقولهم إن كانت لهم عقول.

قال في مفاتيح الغيب:

«مالكم تنكرون عليَّ الأمنَ في موضع الأمن، ولا تنكرون على أنفسكم الخوف في موضعِ الخوفِ ولم يقُل فأيُّنا أحقُّ بالأمن أنا أم أنتم؟ احترازاً من تزكيةِ نفسه، فعدل عنه إلى قوله: ﴿فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ يعني فريقي المشركين والموحدين ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] وهذا من تمام كلام إبراهيم في المحاجة، والمعنى: أن الذين حصل لهم الأمنُ المطلق هم الذين يكونون مستجمعين لهذين الوصفين».(٢)

والظلم: الشرك، ويجوز أن يكون هذا الكلامُ استئنافاً من كلام الله (ﷻ).(٣)

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب: ٤٩/١٣.

(٢) مفاتيح الغيب: ٤٩/١٣.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ١٥٢/٢ – دار الدعوة.

إنَّ المدَ الكلمي المثقل المكرر مرتين في كلمةٍ واحدةٍ «أَتُحَٓاجُّوٓنِّي» ليشير متضامناً مع هذا السيل المنهمر من الاستفهامات التهكمية الإنكارية التعجبية – إلى أن هؤلاء الأشقياء لا يتحدثون معه حديثاً مقنعاً طالبين للحق، لكنهم يمارون ويتلكؤون وقد أحسُّوا بضعف موقفهم وانهزام حجتهم إن كانت لهم حجةٌ.

وهكذا تبدو الدلالة البلاغية للمد في المواضع الثلاثة وهي تشير إلى إفلاس الخصم، وتيقنه من ضعف موقفه، لكنه يكابر من أجل أن يقنع خصمه بأنه على طريق الحق والصواب.

وينتهي المشهدُ القرآنيُّ بتعجب وإنكار سيدنا إبراهيم (عليه السلام) على قومه إلحاحهم في الجدل العقيم، وهكذا تنتصر حجة الخليل (عليه السلام) انتصاراً يعلي جانب العقل ويحكم المنطق والفكر المستقيم القائم على الحجة والدليل والبرهان.

* الموضع الثاني عشر:

قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾ [غافر: ٤٧].

المقام هنا مقامُ محاجَّةٍ أخرويةٍ وهي في حقيقة أمرها ليست قائمةً على إيرادِ الحججِ لإثبات صحة الدعوى وإنما هي تنفيسٌ عن الحال البئيسة التي وصل إليها الكفارُ من العذاب والشقاء الأبدي.

وقد وردت الآياتُ في سياقِ الحديثِ عن آل فرعون حيث ورد قبلها قوله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦] ولذلك قال بعض العلماء: إنَّ الضمير في « يَتَحَآجُّونَ » عائدٌ على آلِ فرعون.

قال في البحر المحيط:

«الظاهرُ أن الضميرَ عائدٌ على فرعون، وقال ابنُ عطية: والضميرُ في قوله: « يَتَحَآجُّونَ » لجميع كفار الأمم وهذا ابتداءُ قصصٍ لا يختصُّ بآل فرعون».(١)

فهذه المحاجّةُ ليست سوى حسرةٍ وندامة وعضٍ للأناملِ من الغيظِ مع شعورٍ باليأس والقنوط والذل والانكسار وهي محاجّةٌ بين فريقين من الكافرين: الضعفاء التابعين والأقوياء السادة.

ها هم السَّادةُ المتكبرون كانوا يسوقون الضعفاء في الدنيا إلى الكفرِ بالله

(١) البحر المحيط: ٢٦٢/٩

وعدم الإيمان به ويوهمونهم أنَّ هذا هو طريقُ الفلاحِ والنجاحِ ولم يُتْعِبْ الضعفاء أنفسهم في الرد عليهم بل لم يكلفوا عقولهم عنت التفكير والمراجعة.

يقول صاحبُ الظلال:

«والسياقُ يلتقطُ لهم موقفاً في النار وهم يتحاجون فيها: «فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار» إنَّ الضعفاءَ إذنْ في النار مع الذين استكبروا لم يشفعْ لهم أنهم كانوا ذيولاً وإمَّعات، ولم يخفف عنهم أنهما كانوا غنماً تساق لا رأي لهم ولا إرادة ولا اختيار!».[1]

والشاهدُ البلاغيُّ قوله تعالى: ﴿يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ﴾ وقد جاء المدُّ الكلمي المثقل في كلمة «يَتَحَآجُّونَ» ليشير إلى أنَّ ثمَّةَ مخاصمةً عنيفةً بين فريقين كلاهما في النار: الضعفاءُ والسادة والذي يبدأ بالحجاج والمخاصمة إنما هم الضعفاء؛ لإحساسهم بالغبن والقهر، وتطاول المد في كلمة «يَتَحَآجُّونَ» يعكسُ الحسرة المريرة التي ألمَّت بقلوب هؤلاء الضعفاء حيث عاينوا عذاب الله واكتشفوا أن ما أوهمهم به سادتهم كان مكراً وخديعة، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب ٦٧: ٦٨].

فللضعفاءِ حجةٌ لكنها لا تجدي نفعاً فقد فات الأوانُ، وها هم الآن يفاجؤون بضراوةِ العذاب وألم النار وحرها.

إنَّ حركات المد الكلمي المثقل في كلمة «يَتَحَآجُّونَ» وهي ستُّ حركاتٍ

(١) في ظلال القرآن: ٣٠٨٤/٥.

لتشيرُ إلى زفرةِ الألم التي تعتملُ في نفوس هؤلاء وتعكسُ اللومَ والتعنيف لكنهُ لومٌ لا يجدي نفعاً، وتشير إلى الإحساسِ بالخديعة والمكر من قِبلِ هؤلاءِ الكبراء.

وقد جاءت المحاجَّةُ في سياق الخبر وهو ابتدائيٌّ؛ لأن المخاطب خالي الذهن من مضمونه ومن ثم جاء خالياً من التأكيد.

ومضارعيةُ الفعل «يَتَحَآجُّونَ» تشير إلى استحضار صورةِ هذه المحاجة وتلك المخاصمة وصيغة التفاعل تشيرُ إلى أنَّ كلاً من الفريقين يُلقى باللوم والتعنيف على الآخر.

لقد أظهر الضعفاءَ حُجتَهم: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ هكذا في صورة الخبر المؤكد، والتأكيدُ ليس راجعاً لحال المخاطبين وهم المستكبرون، لأنهم لا ينكرون تبعيتهم لهم في الدنيا وإنما روعي فيه إحسَاسُ الضعفاء بالقهرِ والظلم والخديعة.

لكنهم أحسَّوا بضعف هذه الحجة وأنَّ انسياقهم وراء السادة كالشياة لن ينفعهم الآن، ولن يدفع عنهم حر النار، ولذلك تساءلوا بهذا الاستفهام الإنكاري ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ وهو إنكارٌ إبطاليٌّ؛ أي لن تتحملوا عنا ولو جزءاً يسيراً من النار.

ويأتي الردُّ من قبل الطرفِ الآخر وهم السَّادةُ والكبراء ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾ فهم لم يجيبوهم بحجة مما كانوا يستخفُّون بها عقولهم في الدنيا وإنما أجابوهم بواقع الحال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾.

يقول صاحبُ الظلال:

«فأما الذين استكبروا فيضيقون صدراً بالذين استضعفوا ويجيبونهم في ضيقٍ وبرمٍ وملالةٍ وفي إقرارٍ بعد الاستكبار: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴾ «إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ»: إنَّا كلٌّ ضِعافٌ لا نجدُ ناصراً ولا معيناً، إنا كُلٌّ في هذا الكرب والضيق سواء... فما سؤالكم لنا وأنتم ترون الضعاف والكبراء سواء...؟

﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴾: فلا مجال لمراجعةٍ في الحكم، ولا مجال لتغيير فيه أو تعديل وقد قُضيِ الأمر وما من أحدٍ من العبادِ يخفف شيئاً من حكم الله».(١)

ويلاحظ في جواب الكبراء أنه جاء بهذا الأسلوب الخبري ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴾ المؤكد بأكثر من مؤكد وهي «إِنَّ» مكررة واسمية الجملة و « قَدْ» والمخاطب وهم الضعفاءُ لا ينكرون وجود المستكبرين معهم أو حكم الله بينهم لكنهم لمَّا سألوهم على سبيل التبكيت ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾نزلوهم منزلة من ينكر ذلك.

أو الأحرى أن نقول إن التأكيد هنا لم يكن راجعاً لحال المخاطب البتة وإنما رُوعي فيه الحالة النفسية للمعذبين وهم يتقلبون في النارِ، فكأنهم لا يطيقون كلاماً من أحدٍ، ولا يتحملون تبكيتاً ومن ثم جاء كلامهم مؤكداً: ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴾وقد حذف المضاف إليه، أي: كُلُّ

(١) في ظلال القرآن: ٣٠٨٥/٥.

فريق منا، أو كُلٌّ واحدٍ منا، لضيق المقام عن الإطناب بذكره، ولإحساسهم ببغض ومقت أنفسهم فكأنهم همُّوا بالتبرّؤ منها.

وظرفيةُ «في» في قوله: «﴿فِيهَآ﴾» تشير إلى احتوائها لهم وإحاطتها بهم إحاطة الوعاء بما فيه، وذلك أكملُ لتمام العذاب.

وجاءت جملة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾ مفصولة عما قبلها: ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ﴾ لشبه كمال الاتصال؛ حيث وقعت منها بمنزلة عطف البيان أو البدل، لأن كونهم في النار لم يحدث إلا بحكم الله وقضائه.

يبدو أنَّ الفريقين شعرا بضعف الحجج وأنه لا مجال للتخاصم الآن، ولذلك تركوا اللجاج والحجاج فيما بينهم ثم اتجهوا إلى الخزنة متوسلين: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ فالغرض من الأمر التوسل والالتماس والرجاء، لكن الجواب جاء مبكتاً قاطعاً للأمل مبيناً أنه لا عذر لهم: ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [غافر: ٥٠] هكذا بهذا الاستفهام التبكيتي والغرض منه التقرير أو حمل المخاطب على الإقرار مع تبكيته وتقريعه.

«وفي السؤال وفي جوابه ما يغني عن كل حوار وعندئذ نفض الخزنةُ أيديهم منهم وأسلموهم إلى اليأس مع السخرية والاستهتار».[1]

إنَّ بلاغة المد الكلمي المثقل في هذه الكلمة: «﴿يَتَحَآجُّونَ﴾» تتلخَّصُ فيما يلي:

---

(١) في ظلال القرآن: ٣٠٨٥/٥.

١- إظهارُ المخاصمة واللعن بين أهل النار.

٢- بيان مظهر هذه المخاصمة وهي تتمثل في إلقاءِ كل التهمة على الآخر.

٣- الإشارةُ إلى تخلي السادة عن أتباعهم يوم القيامة.

٤- إبراز الحنق والغل الذي أظهره الضعفاء للكبراء جراء انسياقهم وراءَهم.

٥- بيان أنه لا حجة أمام الله لمستضعف أو مقهور مهما بلغ قهرُه واستضعافه، حيث أودعهُ اللهُ عقلاً مميزاً، وأرضُ الله واسعة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ٩٧].

* الموضع الثالث عشر والأخير:

قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ﴾ [الشورى: ١٦].

وقعت هذه المحاجَّةُ في مقام الحديث عن اتفاق الرسل كلهم على قضية التوحيد والإيمان بالله، حيثُ تطابقت عليها الشرائعُ وتوافقت فيها الأديان قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [الشورى: ١٣].

قال ابن كثير:

«فذكر أول الرسل بعد آدم وهو نوحٌ (عليه السلام) وآخرهم وهو محمد (ﷺ)... ثم يقول تعالى متوعداً الذين يصُدُّون عن سبيل الله من آمن به ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ﴾ أي يجادلون المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله ليصدوهم عما سلكوه من طريق الهدى ﴿حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ﴾، قال ابن عباس (رضي الله عنهما) ومجاهد: جادلوا المؤمنين بعدما استجابوا لله ولرسوله ليصدوهم عن الهدى وطمعوا في أن تعودَ الجاهليةُ، وقال قتادة: هم اليهود والنصارى قالوا لهم: ديننا خيرٌ من دينكم ونبيُّنا قبل نبيكم، ونحن خيرٌ منكم، وأولى بالله منكم وقد كذبوا في ذلك»[1].

والشاهدُ البلاغيُّ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ﴾ والمدُّ الكلمي

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٤/١١٠ .

المثقل في كلمة «يُحَآجُّونَ» يشير إلى إلحاح هؤلاء القوم سواءٌ من اليهود والنصارى أو من مشركي العرب، إلحاحهم وإصرارهم على المجادلة في الله بالباطل، رغبةً في عودة الجاهلية مرة أخرى وهدم دين الله والقضاء عليه في مهده الأول، فهم يجدون في تشكيك المسلمين في هذا الدين بالخصومة والجدل العقيم ولذلك حكم اللهُ عليهم بأنهم: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾

وقد توافقت الدلالة البلاغية للمد الكلمي المثقل في كلمة «يُحَآجُّونَ» مع السياق كله في إثبات الشك والريب الذي يعتملُ في نفوس هؤلاء فقد سبقها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ [الشورى: ١٤] يعني المشركين الذين أورثوا القرآن من بعد اليهود والنصاري.

فهؤلاء جميعاً إنما يأخذون الدين بالهوى ولذلك خاطب القرآن نبينا (ﷺ) بقوله: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٥] أي لا خصومة بيننا وبينكم ولكم دينكم ولنا ديننا ثم تجيء المحاجةُ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ﴾.

ثم يتلوها بيانٌ آخر لارتيابهم في كل ما جاء من عند الله ومن ذلك يوم القيامة.

يقول تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ

ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾ [الشورى: ١٧، ١٨].

وهكذا يتوافق السياق القرآنيُّ كله مع لفظ المحاجة في مقام الحديث عن اتحاد رسالة الأنبياء في دعوتهم إلى التوحيد، ويبرز المد الكلمي المثقل في كلمة ﴿يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ﴾ الارتياب النفسي الذي وقع فيه هؤلاء بما يتوافق مع منطوق الآيات.

هذا التوافق السياقي تؤكده خصائصُ النظم في أسلوب المحاجة حيث وردت بلفظ الخبر المجرد عن التأكيد مع أنه في مواجهة موجة ارتيابية عاتية سواءٌ من اليهود والنصارى أو من المشركين لكنه يلقي إليهم الخبر مجرداً من التوكيد ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ تنزيلاً للمنكرِ أو المتردد والشاك والمرتاب منزلة خالي الذهن فخرج بالكلام على خلاف مقتضى الظاهر وألقى إليه الخبر ابتدائياً خالياً من التأكيد ليدل على بدهية زيفِ حجتهم وبطلان جدالهم؛ لأنها ليست حجة أصلاً، فهي لا تستحق التأكيد على بطلانها وإنما تقتضي البلاغة أن ترد في خبرٍ ابتدائي غفلاً من التأكيد تأكيداً على أن كونهم على الباطل من المسلمات والبدهيات التي لا تحتاجُ إلى تأكيد.

الخَاتمة

وتشتمل على أبرز خصائص النظم موازنة بين المقامات الفرعية المختلفة

في مقام الحجاج

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله (ﷺ) وعلى آله وصحبه أجمعين وبعدُ:

فمن خلال ما سبق يمكن تدوين الخلاصة وأبرز النتائج البلاغية مع الموازنة بين المقامات المختلفة وذلك على النحو التالي:

* **أولاً:** من حيث المقام:

وردت آيات الحجاج التي اشتملت على المد الكلمي المثقل من خلال أربع مقامات:

١- مقام الحديث عن أهل الكتاب «اليهود والنصارى».

٢- مقام الحديث عن المشركين ومحاجتهم لإبراهيم (عليه السلام) سواءٌ كان:

- النمروذ ذلك الملك الطاغية.

- أم قوم إبراهيم عباد الكواكب والنجوم.

٣- مقام الحجاج بين أهل النار.

٤- مقام حجاج المؤمنين للكافرين عند الله يوم القيامة.

ويترتبُ على ذلك ما يلي:

١- أن المحاجة وردت في مقام الحديث عن الكافرين سواءٌ كانوا من اليهود والنصارى أو المشركين سواءٌ كانوا من عبدة الكواكب أو من عبدة الأصنام.

إنَّ دلَّ هذا على شيءٍ فإنما يدُلُّ على أنَّ الكفرَ كُلَّهُ ملةٌ واحدةٌ لا تفرقة فيه بين يهودي ولا نصراني ولا صابئ ولا مشرك، والرابِطُ بينهم جميعاً هو إنكار

التوحيد.

٢- أن هؤلاءِ جميعاً اتفقوا على طبيعةٍ واحدةٍ وصفةٍ بذيئة مشتركة، ألا وهي السفسطةُ والجدل العقيم مما يدُلُّ على ضعفِ موقفهم وخطأ مسلكهم العقدي.

٣- أن الحجاجَ الواقع بين الكافرين في جهنم لم يكُنْ حجاجاً لإثبات صحة دعوى وإنما هو زفراتُ مكلومٍ وتنفيسٌ عن مكروب بعد فوات الأوان.

٤- أنَّ حجاجَ المؤمنين للكافرين يوم القيامة أمام الله كان أهل الكتاب فيه على وَجَلٍ إن هم أظهروا حقيقة ما يكتمونه مما علموه في كتبهم من صدق النبي (ﷺ) وهذا يدُلُّ على انطواء نفوسهم على حقدٍ دفين لرسول الله (ﷺ) والمسلمين كما يَدُلُّ على سوءِ أدبهم مع الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

* **ثانياً:** من حيث الخبر والإنشاء:

وردت المحاجةُ التي اشتملت على المد الكلمي المثقل في صورتين:

١- صورة الخبر مثل: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ ﴾ ﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾ ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ ﴾ ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ ﴾.

والملاحظ أن الخبر هنا كله ابتدائيٌّ؛ لأنه يُلقى إلى مخاطب خالي الذهن من مضمون الخبر فلا حاجة للتأكيد أو أنه جاء خروجاً بالكلام على خلاف مقتضى الظاهر كما سبق.

٢- في صورة الإنشاء: وكل ما ورد في هذه الصورة إنما جاء في ثوب الاستفهام الإنكاري، سواءٌ كان بالهمزة مثل قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ ﴾ ﴿قَالَ أَتُحَآجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ ﴾، أم كان بما الاستفهامية محذوفة الألف حيث

دخلت عليها لامُ الجر مثل: ﴿لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ﴾.

وواضحٌ أنَّ الاستفهام الإنكاري أقوى في الإنكار على هؤلاء لذلك جاء في مقام الشدة، حيث يتصاعدُ الأسلوب في إنكار عقيدتهم الفاسدة وإبطالها، لنفيهم التوحيد عن الله وادعائهم معه سبحانه شريكاً أو شركاء تعالى الله (ﷻ) عن ذلك علواً كبيراً.

ومن ثم ناسب ذلك أن يجيءَ المدُّ الكلمي المثقل في المحاجة بلفظ الاستفهام الإنكاري لينتهي بدحض عقيدة هؤلاء.

* **ثالثاً:** من حيث الإسناد ومتعلقات الفعل:

١- جاء المسند إليه «فاعل المحاجة» معرفاً بالضمير «واو الجماعة».

- وهي إما عائدةٌ على المؤمنين كما في قوله تعالى: ﴿أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡ﴾ ﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡ﴾ وهي حينئذٍ محاجةٌ صحيحةٌ قائمةٌ على الحجة والبرهان والذي يشهد بذلك هم أهل الكتاب أنفسهم؛ لأن المقام مقامُ خوفٍ منهم وحذر أن يكشفوا للمؤمنين عن الحقيقة التي يعلمونها جيداً في كتبهم وهي تتمثلُ في صدقِ عقيدة المسلمين وصحتها، لكنهم خشوْا إن هم أظهروا ذلك للمسلمين أن يحاجوهم أمام الله يوم القيامة.

والمفعول هنا هو ضمير أهل الكتاب «كُمْ» وهو يشير إلى اعترافهم بوقوع الحجة الدامغة عليهم من قبل المسلمين.

- وإمَّا أن يكون المسندُ إليه معرفاً بالضمير «واو الجماعة» عائداً على أهل الكتاب مثل قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ﴾ ﴿فَإِنۡ حَآجُّوكَ﴾ ﴿لِمَ

تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٌ ﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ ﴾.

وهو يشير هنا إلى اتفاقهم جميعاً على قلب رجل واحد في المكابرة والعناد والإلحاح على اقتناص الحجة وإن كانت باطلة أملاً في إقناع الخصم بأنهم على الحق المبين وهو مرضٌ نفسيٌّ سيطر على قلوبهم جميعاً.

وقد تعدى فعل المحاجة إلى مفعوله إما بغير واسطة كما في ﴿أَتُحَآجُّونَنَا ﴾والمفعول به وهو الضمير «نا» يعودُ على النبي (ﷺ) ومن معه من المسلمين.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِنۡ حَآجُّوكَ ﴾والمفعول هنا «كاف الخطاب» يعود على النبي (ﷺ) وحده، وهذا يَدلُّ على أن قضيتهم الأولى هي مغالبة رسول الله (ﷺ) بالباطل هو ومن معه من المؤمنين.

وربما يتعدى فعل المحاجة إلى مفعوله بواسطة حرف جر وهو « فِي» كما في قوله تعالى: ﴿لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٌ ﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ ﴾ وهو في الأحوال الثلاثة يعكسُ تقلبهم بين الحيرة العقدية والجهل التاريخي والحماقة، ووراءَ ذلك انعكاسٌ لتخبطهم وجهلهم وإفلاسهم، فهم تارة يجادلون في الله، وأخرى في إبراهيم (عليه السلام)، وثالثة فيما ليس لهم به علم.

– وإما أن تكون واو الجماعة عائدة على المشركين من عبدة الأوثان في حجاجهم لإبراهيم (عليه السلام) كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ

﴿ هَدَىٰنِ ﴾.

المسند إليه هنا هو ضميرُ قوم إبراهيم والمفعول به هو ضمير المتكلم «الياء» العائد على إبراهيم (عليه السلام)، وكلاهما يشير إلى اجتماعهم عليه وأنهم تكالبوا على مغالبته بالباطل حتى يثنوه عن التوحيد.

- وإما أن تكون عائدة على أهل النار كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ ﴾ وهو يدل على المخاصمة العنيفة التي نشبت بينهم جميعاً وهم يتقلبون في النار ليزدادوا عذاباً فوق العذاب.

٢- وقد يكون المسند إليه ضميراً للغائب كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ ﴾ وهو عائدٌ على النمروذ والغرض من تعريفه بضمير الغائب الدلالة على سقوطه من الزمن وغيابه عن التاريخ حيث لا يذكر إلا في مقام الظلم والطغيان، والمفعول به هو خليل الرحمن (عليه السلام) وهذا يشير إلى أن هذا الملك اعتبر هذه المحاجة مجادلة شخصية، حيث تتعلق بادعائه هو الألوهية من دون الله بخلاف محاجة قومه له فقد كانوا يدافعون عن عبادتهم للكواكب والنجوم.

ومنه قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ فالمسند إليه ضمير الغائب «هو» لكنه في معنى الجمع لعموم لفظ « مَنْ » السابق عليه وهو يعود على وفد نجران من النصارى المجادلين لرسول الله (ﷺ) وهو يشير إلى أنَّ المراد أن من حاجك في عيسى (عليه السلام) فادعه إلى المباهلة واحداً كان أو جماعة.

والمفعول به هو كاف الخطاب العائد على رسول الله (ﷺ) وهو يعكسُ

الحنق والحقد والحسد الذي اعتمل في نفوس هؤلاء على رسول الله (ﷺ) ودعوته.

٣- وقد يكون المسند إليه اسماً ظاهراً كما في قوله تعالى: ﴿ **وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥ** ﴾، ومجيء فاعل الحجاج هنا اسماً ظاهراً وهو اسم جنس جمعي « **قَوۡمُهُۥ**» يشير إلى اتفاق عبدة الكواكب والنجوم على مغالبة سيدنا إبراهيم (عليه السلام) واحتشادهم لهذا الأمر مما يدل على علمهم بأنهم على الباطل وأنه على الحق لكنهم بآيات الله يجحدون.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد (ﷺ) وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن لشيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي – دار عالم المعرفة.

٢- الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني – تحقيق الدكتور/ عبد القادر حسين – مكتبة الآداب.

٣- البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلس تحقيق: صدقي محمد جميل – دار الفكر – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ.

٤- التجويد القرآني في ضوء علم الصوتيات الحديث بقلم الأستاذ الدكتور/ أبو السعود أحمد الفخراني – الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م.

٥- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الإصبع المصري تقديم وتحقيق الدكتور/ حفني محمد شرف – إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

٦- تفسير ابن كثير للحافظ ابن كثير – دار الدعوة.

٧- الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش – دار الكتب المصرية – القاهرة – الطبعة الثانية ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م.

٨- شرح المريد في علم التجويد للأستاذ/ محمد عبد الوهاب محمد.

٩- الصوت اللُغوي في القرآن، د/ محمد حسين علي الصغير – دار المؤرخ العربي – بيروت.

١٠- فتح القدير للإمام الشوكاني مكتبة الرشيد – الرياض – الطبعة السادسة ١٤٣٠ هـ– ٢٠٠٩م.

١١- فتح المجيد شرح كتاب العميد في علم التجويد – تأليف الشيخ/ محمود

علي بسَّة – شرح وتعليق وضبط وتحقيق/ محمد الصادق قمحاوي – مكتبة الإيمان – الطبعة الأولى ١٤٣٢ هـ – ٢٠٠١م.
١٢- في ظلال القرآن – سيد قطب – دار الشروق – القاهرة.
١٣- الكشاف للإمام الزمخشري – ضبط ومراجعة: يوسف الحمادي مكتبة مصر.
١٤- لسان العرب لابن منظور – دار الحديث – القاهرة – طبعة محققة ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢م.
١٥- المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم للعلامة سعد الدين التفتازاني تحقيق الدكتور/ عبد الحميد هنداوي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م.
١٦- مفاتيح الغيب للإمام الفخر الرازي – دار إحياء التراث العربي – بيروت.
١٧- النحو الوافي – عباس حسن آوند دانش للطباعة والنشر – الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١	**مقدمة**	٨٥٥
٢	**التمهيد** ويشتمل على:	٨٥٩
٣	**أولاً:** كلمة موجزة عن المد عموماً والمد الكلمي المثقل خاصة	٨٦١
٤	**ثانياً:** الدلالة البلاغية للمد الكلمي المثقل من خلال دلالته الصوتية...	٨٦٦
٥	**ثالثاً:** الآيات القرآنية التي اشتملت على المد الكلمي المثقل في مقاماته البلاغية المتعددة	٨٧٠
٦	**أولاً:** مقام الحجاج	٨٧٠
٧	**ثانياً:** مقام الشقاق والمحادة	٨٧١
٨	**ثالثاً:** مقام الضلال	٨٧١
٩	**رابعاً:** مقام الاستفهام التهكمي	٨٧٢
١٠	**خامساً:** مقام الدلالة على العموم «**دَآبَّةٍ**» و«**كَآفَّةً**» منكرتين	٨٧٣
١١	**سادساً:** مقام المضارة	٨٧٤
١٢	**سابعاً:** مقام الحديث عن الجان	٨٧٥
١٣	**ثامناً:** مقام الاصطفاف	٨٧٦
١٤	**تاسعاً:** مقام الرد	٨٧٦

م	الموضوع	الصفحة
١٥	**عاشراً:** مقام الحديث عن أسماء يوم القيامة	٨٧٧
١٦	**حادي عشر:** مقامات أخرى متنوعة	٨٧٧
١٧	الدلالة البلاغية للمد الكلمي المثقل في القرآن الكريم (مقام الحجاج)	٨٧٩
١٨	توطئة: معنى الحجاج في اللغة	٨٧٩
١٩	الدلالة البلاغية للمد الكلمي المثقل في القرآن الكريم (مقام الحجاج)	٨٨١
٢٠	**الموضع الأول:** ﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ﴾	٨٨١
٢١	**الموضع الثاني:** ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ﴾	٨٨٤
٢٢	**الموضع الثالث:** ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾	٨٨٧
٢٣	**الموضع الرابع:** ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ﴾	٨٩١
٢٤	**الموضع الخامس:** ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾	٨٩٥
٢٥	**الموضع السادس:** ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾	٨٩٧
٢٦	**الموضع السابع:** ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾	٨٩٧

م	الموضوع	الصفحة
٢٧	**الموضع الثامن:** «أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ »	٩٠٠
٢٨	**الموضع التاسع والعاشر والحادي عشر:** « وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ ».	٩٠٢
٢٩	**الموضع الثاني عشر:** « وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ »	٩٠٨
٣٠	**الموضع الثالث عشر:** «وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ »	٩١٤
٣١	**الخاتمة** وتشتمل على أبرز خصائص النظم موازنة بين المقامات الفرعية المختلفة في مقام الحجاج	٩١٧
٣٢	**أولاً:** من حيث المقام	٩١٧
٣٣	**ثانياً:** من حيث الخبر والإنشاء	٩١٨
٣٤	**ثالثاً:** من حيث الإسناد ومتعلقات الفعل	٩١٩
٣٥	**فهرس المصادر والمراجع**	٩٢٣
٣٦	**فهرس الموضوعات**	٩٢٥

تم بحمد الله